أخلاق الطبيب

رسالة لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي إلى بعض تلاميذه

تقديم وتحقيق

دكتور عبد اللطيف محمد العبد

الطبعة الأولى

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

مكتبة

دار التراث

٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

أخلاق الطبيب

رسالة لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي إلى بعض تلاميذه

تقديم وتحقيق

دكتور عبد اللطيف محمد العبد

الطبعة الأولى

١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م

مكتبة

دار التراث

٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

حمداً وشكراً لله سبحانه ، وصلاة وسلاماً على السراج المنير محمد ، الذى فاز بأكرم وأشرف تزكية من ربه : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

وبعد :

فقد شاءت حكمة الله تعالى أن يكون إنشاء الحضارة منوطاً باجتهاد الإنسان، يشيدها بفكره ووجدانه ، ويسعد بها فى حياته . ولا يحقق هذا إلا عاقل طلعة ومفكر حر ؛ فلا تقوم حضارة على جهل وذلة وخمول .

وإن مؤلف هذه الرسالة من المفكرين الأحرار ، والأعلام المصلحين ؛ حيث ساهم فى نشر الخير ، وشارك فى تدعيم النهضة ، بعقل حر متطور ، وسلوك متزن ، وخلق كريم .

ذلك هو : أبو بكر محمد بن زكرياء الرازى .

وقد ولد بالرى عام ٢٥٠هـ = ٨٦٤ م . ثم توفى ببغداد فى ٥ من شعبان عام ٣١٣ هـ = ٢٥ اكتوبر ٩٢٥ م ، أى عاش مايقرب من اثنين وستين عاماً .

وقد نشأ الرازى بالرى ، موطن العلم والأدب والنبوغ ، فنهل من معين هذه البيئة ، وأعرض عن التجارة والصيرفة والغناء ، معتكفاً فى محراب العلم ؛ للارتواء من تراث السابقين : عرباً ويوناناً وهنوداً .
واتسم الرجل بالذكاء والفطنة . والهدوء والرزانة ، وتحلى بحب الرحمة والعدل ، والنصح والعفة ، والإقـــلال من مماحكة الناس ومجاذبتهم ، بالإضافة إلى بره بالفقراء والمرضى ، وحسن تعهده للطلاب .

وكان الزهد طابعاً ملازماً له فى مسكنه ومركبه ومأكله ؛ ولا عجب أن يموت تاركا زوجاً صبوراً ، دون درهم أو ولد .

نعم كان فى بلاط الأمراء ، لـكنه لم يسمح لنفسه إلا بأن يكون طبيباً أو ناصحاً لهم . ولو شاء أن يكون قاروني المال لفعل ؛ فقد كانت الظروف مواتية له ؛ حيث كان رئيس الأطباء ، وأثيراً لدى الأمراء ، لـكنه كان يدرك بحق ثمرات الزهد والفـكر ، وهو لم يخلد إلا بهما .

صحيح أن الفيلسوف قنوع ، لكنه فى البحث عن الحقيقة غير قنوع . وهو فى نفس الوقت يدرك أنه إنسان بقدرة محدودة. وهو مع الاعتدال يحاول الكمال .

وقد كان أبوبكر الرازى بعيدالنظر ، حيث كتب سيرته بنفسه؛ خوفاً من تحريفها على يد الخصوم ، وما أكثرهم ! .

وقد صحح فى هذه السيرة كل ما حاول الخصوم أن يزيفوه عليه . وأثبت أنه فيلسوف نظراً وتطبيقاً ، مستدلا بحسن سيرته ومؤلفاته العديدة التى تهدف إلى إسعاد الإنسان .

وقد مجد هذا المفكر العظيم كل فكر فلسفى حر ، وأشاد بالفلاسفة ودورهم الكبير فى المجتمع الإنسانى .

وقدم للناس خلاصة أفكار الفلاسفة . وخلاصة أفكاره، معتزاً بمؤلفاته وعلمه ، حتى صار فيلسوف الوضوح والخير ؛ والعقل والتجربة .

وكان الرازى مؤمناً بالله تعالى ، وبجميع صفات الكمال التى تليق بذاته المقدسة ؛ ومؤمناً كذلك برسل الله وأنبيائه ، وبتعاليم الأديان السماوية ؛ وقد أبغض المذاهب المنحرفة والمتزمتة .كالدهرية وغيرهم من أصحاب الجدل .

والرازى - فيلسوفاً — لم يغفل التأكيد على ضرورة الأخلاق ، فعليها تشاد الحضارة . تأمل مثلا الطبيب وقد تجرد من الأخلاق الكريمة ، إنه يصبح سفاحاً للدماء ، فضاحاً للأعراض .

وكان الرازى فيلسوفاً حقاً ؛ إذ كان يأسى للأدواء الروحية ، فيشخصها ، ويصف لها الدواء الناجع ، فهو ليس بمعزل عن المجتمع ، بل يطالب بإصلاحه عن طريق إصلاح الروح . ويقدم من نفسه قدوة للناس قولا وعملا ، منبها الناس إلى أن يكونوا أقوياء الإرادة ضد الملذات التى تفقدهم سعادتهم ، ويطالبهم بإعمال عقولهم فى قمع الهوى وتذليل الشهوات .

ولا يكون الفيلسوف عظيما إلا إذا آمن بالتجربة . ففيها سمو عن التقليد ، وارتفاع عن ادعاء العصمة والجمود ، وفيها كذلك تفاؤل وتقدم وابتكار . وهو ما يشكل جزءاً كبيراً من سعادة الإنسان وحريته . وبهذه الروح كانت فلسفة الرازى ومعرفته .

وكان الرازى يشق طريقه نحو الرقى الفكرى معرضاً عن الجاهلين ؛ فليس لديه وقت يضيعه فى الجدال والمغالطة مثلهم ، فقد كانت لديه صنعة أخرى هى الطب ، الذى أعمل فيه عقله تحصيلا وتجريباً وتأليفاً ؛ ليخفف عن الإنسان آلامه ، فيحقق له جزءاً من الهناء والسعادة .

ومن المألوف أن يتعلم الإنسان منذ الصغر ؛ وقد يشذ العبقرى عن القاعدة والمألوف ؛ فقد مال الرازى إلى تعلم الطب على كبر ـ وقد تجاوز الثلاثين ؛ دليل ذكائه ووعيه ، فلم تقف السن حائلا بينه وبين المعرفة .

وقد برع فى الطب براعة السابقين علماً وعملا، وركز على الجانب الأخلاقى فيه ، فهما عنده لا ينفصلان بحال . ولقب بحق « أبا الطب العربى » و « جالينوس العرب » حيث عد من الأطباء العلماء وشهد له بالتفوق على أعلام الطب من أمثال : ابن سينا ، وابن رشد ؛ وابن ميمون .

هكذا كان الرازى ، وكانت فلسفته فلسفة إنسانية شاملة ، تلتحم بالواقع ؛ وتعبر عنه وتسمو به .

وقد قدره المنصفون فى الشرق والغرب؛ حيث لمسوا عمق فلسفته وابتكاره فى العلم .

وحسبنا قول ابن النديم عنه إنه : « أوحد دهره ، وفريد عصره » ، وقول ابن خلكان عنه فى الفلسفة: « قرأها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها ؛ فبلغ من معرفة غوابرها الغاية ؛ واعتقد الصحيح منها ؛ وعلل السقيم » .

وحسبنا أيضاً شهادة الشهرزورى وهو من ألد خصومه : « إن الرازى قد بلغ الغاية فى الطب » ويشهد د . بنييس أن الرازى أستاذ لمدرسة فى الفلسفة ، كما هو أستاذ لمدرسة فى الطب .

وشهد ستابلتون الإنجليزى بعد دراسته لكيمياء الرازى بأنه بقى بلا ند حتى بزوغ فجر العلم الحديث بأوربا . ويقول عنه كوربان : « إنه طبيب شهير وشخصية إيرانية فذة » .

وقد دعت صحيفة المقتطف إلى تعيين ٣٠ من يناير ١٩٣٠ للاحتفال بالعيد الألفى للرازى فى الهيئات الطبية للأمة العربية .

وعلقت مدرسة الطب بباريس صورة ملونة للرازى إلى جانب ابن سينا وابن رشد . وخصصت جامعة برنستون الأمريكية أفخم ناحية فى أجل مبانيها لعرض مآثره .

وما أحوجنا إلى أن نكون فى مقدمة الذين عرفوا قدر الرازى ، وأن نضعه فى منزلته الحقيقية . وقد آن الأوان أن يلتفت رجال الطب عندنا لمراجعة التراث الطبي لدى الرازى ، عسى أن يفيدوا منه البشرية فى العصر الحديث ، فهم أقدر الناس على تحقيق هذا الهدف .

أما الجانب الفلسفي فقد أتيح لي أن أدرسه حسب المادة الموجودة، وذلك في رسالتي للدكتوراه « فلسفة أبي بكر محمد زكرياء الرازي التي حصلت بها على مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٥ من قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .

وأثناء دراستي للدكتوراه عثرت على أحد المخطوطات للرازي لم يسبق نشره وعنوانه : « رسالة لأبي بكر محمد بن زكرياء الرازي إلى بعض تلامذته».

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١١٩ طب تيمور ضمن مجموعة كتبت عام ١١١١ هـ من ص ١٦٦ = ١٨٤ منقول من أصل خط الرازي ، وبقلم معتاد ؛ مسطرته ٢١ تقريباً .

والحق أنني استفدت كثيراً من مادة هذا المخطوط في توضيح معالم الفلسفة الأخلاقية الطبية لدى الرازي .

وقد اجتهدت في الحصول على مخطوط آخر فلم أوفق حتى الآن؛ ولم تدلني الفهارس على شيء آخر . ولذا آثرت نشر المخطوط من هذه النسخة الوحيدة ؛ حتى لا يتعرض للضياع كما ضاعت معظم كتب الرازي . وفي ذلك خسارة كبيرة للفكر البشري.

وقد قمت بتعليقات عديدة فى الهامش ، وهى تؤكد فى مواضع كثيرة من الرسالة أن نسبتها صحيحة للرازى . حيث قارنت كثيراً بين فكر الرسالة وفكر الرازى فى كتبه الأخرى التى تيسرت لى مطبوعة ومخطوطة ، وقد وجدت الروح واحدة ، فلا تناقض ولا اضطراب .

وهذه الرسالة مثل كل مؤلفات الرازى ذات أسلوب عذب رصين ، يجمع بين الإيجاز والعمق ، فى دقة وتحليل واستقصاء ، وتنويع بين الخبر والإنشاء .

ولهذا يجب أن نتركها لكل قارئ يتمتع بهذا الأسلوب العلمى المتأدب ، ويستنتج منها ما يتفق مع ذوقه وميوله .

ولاشك أن هذه الرسالة المليئة بالنصائح الأخلاقية الطبية صالحة لكل قارئ : متخصصاً أو غير متخصص ، طبيباً أو مريضاً أو سليماً ، أميراً أو فقيراً .

فهى تضع دستوراً أخلاقياً فى طريقة السلوك بين الطبيب والمريض ، وترسم أهم المبادئ التى يجب أن يتعامل بها كل منهما مع الآخر ، وهى أيضاً بهذا نموذج أدبى رائع لأحد موضوعات الخير الأسمى .

ويلاحظ أنني أحياناً استبدلت كلمة مكان أخرى في الأصل ؛ ليستقيم المعنى ، ثم نبهت في الهامش على الأصل ، مع وضعه كما هو بين علامة تنصيص؛ لعل أحداً يقترح قراءة أخرى لهذه الكلمات وهي مسئوليتنا جميعاً . وقد تسقط كلمة من النص فأضع بدلا منها كلمة حسب السياق مع وضعها بين معقوفين [ ] وقد تسقط أكثر من كلمة فأضع ثلاث نقط هكذا ... أما العناوين فهي من وضعي .

وأما التلميذ الذي وجه إليه الرازي هذه الرسالة فهو « أبو بكر بن قارب الرازي» حين دعاه أحد الأمراء بخراسان ليكون طبيباً خاصاً له . وفي مطلع الرسالة يتبين بوضوح مدى اعتزاز الأستاذ بتلميذه وإيثاره إياه ، وشفقته عليه من هذا الميدان الذي يحتاج إلى لباقة خاصة وكياسة وفطنة وحذر .

ولم يصرح الرازي باسم الأمير ، وهذه عادته كثيراً في مؤلفاته؛ كيلا يقع في الحرج ، أو يوقع الأمير والتلميذ فيه .

ونرجو من الله أن يحقق لنا آمالنا تجاه الخير ، فهو سبحانه وتعالى ولي التوفيق ؟

الدكتور / عبد اللطيف محمد العبد

القاهرة - الزيتون

تحريراً في ٢٥/١٠/١٩٧٥

رسالة لابي بكر محمد بن زكريا الرازي الى بعض تلامذته

منقول من خط اصل السيد الروزي

بسم الله الرحمن الرحيم

بلغني امتع الله بك وبالنعمة فيك انه دعاك الامير فلان
الى حضرته واختصك لخدمته معتمدا في ذلك عليك
وملقيا باسبابه اليك وقد احسن الظن بك
من اختصك لنفسه واستند عليك من جثمانه
امين روحه فوالله لا بد لك الى من خدمته ووفا
حقوقه وحفظ صحته اجمع قريب اعلم انه من يصعب
وحشيا للطبيب خدمة الامراء ومعالجة المترفين
والنساء فان الطبيب الكثير السيرة اذا اشتغل بمناقشة
وحفظ الخاصة والعامة فانه يعيش بهم ويكون عليهم

(صفحة ١٦٦ من المخطوط)

اميرا واذا توسم بخدمة الملوك ربما صار بجد منهم
اميرا لاسيما اذا كان الملك عاميا كما انى سمعت
ان بعضهم اصابته علة فامره الطبيب بالحمية وهو يأباها
وقال ما اصنع بالطبيب اذا منعنى المشتهى وانا
استطعمتك لنفسي لآكل ما اريد وتدفع بعلمك عني ما اكره
من مضرته ، ولم يكن يعلم انه من المحال مثل هذا المقال
وانه ليس في قوة صناعة الطبيب وان الاطباء عادا[illegible]
عادات الامراء وامورهم نافذة على الاغنياء والفقراء
[illegible] ان من عاداتهم ان يأمروا وليس من عاداتهم ان
يؤمروا ولما يجب عليك صيانة النفس عن الاشتغال
باللهو والطرب والمواظبة على تصفح الكتب فعساه ان
يسألك عن شي بغتة وانت تحفظه فيعسر عليك الاجابة
بحضرته وانت عنده ، فان من الامراء والملوك والرؤساء
من يكون عاميا ومن الاكابر من يصادف عاميا يحسبون لغفلة
سمتهم وكثرة جهلهم ان كل من نسب الى علم فهو خليق بان يجيب
عن كل ما يسأل من ذلك العلم فان عيى بمسألة فانهم ينسبونه
الى الجهل [illegible] ولا يدرون انه ربما اصاب الاخرق واشوى
الحاذق وربما اشكل على العالم النحرير المسألة التي يجيب عنها
اقل تلامذته علما واعلمهم فهما لا انه ليس يحفظها او لم يقرأها
ولم يسمعها لكن لعوز الكمال في الانسان ويظنون بعلة [illegible]
بل يعتقدون ذلك ان من قرأ نوعا من العلم وشرع في فن

(صفحة ١٦٧ من المخطوط) .

العقل من الرجال والنساء واحفظهن وصيته اشد
وتحفظه وآراؤهم في استخدام من يخدمهم متفرقة فمنهم
من يريد طول المقام عنده ومنهم من يكره فاذا عففت
عن هذا الا في الخدمة كان ذلك عندهم ضرباً من الخدمة فان
ادركت اذا جده لسوء واقبل عليك بوجه طلق خير من
ان يقبل باسه عليك او يصد بوجهه عنك واعلم
انك اذا تملكت بهذه الخصال ولازمتها في سائر الاحوال
لبست حريا بان تحظى عند الملوك والسوقة وتفضل
عليك الخاصة والعامة ولا تخلو في خلال ذلك
من ثواب وذخر وجزيل مثوبة وحسن ذكر وفيما
علمتك من هذا الباب بهذا القدر فيه كفاية وغنى
لمن نظر فيه وتدبره بعقله والله تعالى موفقك للسداد
وسلك كل طريق الرشاد بمنه وجوده والواهب العقل
حمدا بلا نهاية كما هو اهله ومستحقه

(صفحة ١٨٤ من المخطوط)

رسالة لأبى بكر محمد بن زكرياء الرازى ص١٦٦

إلى

بعض تلامذته

منقول من أصل خط يد الرازى(١)

(١) فى الأصل هكذا : « منقول من أصل خط الىد الروزى » .

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء وثناء :

بلغنى ـ أمتع الله بك، وبالنعمة فيك ـ أنه دعاك الأمير فلان إلى حضرته[1]، واختصك لخدمته[2]، معتمداً فى ذلك عليك، وملقياً بأسبابه إليك. وقد أحسن الظن بك من اختصك لنفسه واعتمد عليك من جعلك أمين روحه[3]. وفقك الله لما ندبك إليه[4]: من خدمته،

---

(١) تطلق الحضرة على كل كبير يحضر عنده الناس (المنجد ـ حضر).

(٢) كان الرازى ورفقته يدركون أن التمريض هو الأساس الكبير للشفاء. وما زال الطب الحديث يؤمن بذلك ـ د. محمد زكى سويدان: التمريض والإسعاف ٣.

(٣) يبدو من هذا مدى اعتزاز الرازى بتلاميذه وثقته فيهم. وكان الأمراء يثقون فى تلاميذ الرازى ثقتهم فى الرازى نفسه. ولم يكن هذا التلميذ هو الوحيد الذى ألف له الرازى رسالة، بل قد ألف كتابه «الأسرار» لتلميذه محمد بن يونس العالم بالرياضيات والطبيعيات، وممن كثرت خدمته لأستاذه، ويقول الرازى فى ذلك: «ألفت كتابى هذا، وأتحفته بما لم أتحف به أحداً من الملوك والأمراء» هكذا يعتز بتلميذه ـ الأسرار ص ١.

(٤) فى الأصل «فوقك الله لا يديك».

ورعاية[1] حقوقه، وحفظ صحته[2]، إنه سميع قريب.

أصعب ألوان الطب :

اعلم، أنه من أصعب الأشياء للطبيب: خدمة الأمراء، ومعالجة المترفين[3] والنساء[4]. فإن الطبيب الحر السيرة إذا اشتغل بصناعته، وحفظ الخاصة والعامة، فإنه يعيش بخير، ويكون[5] عليهم//أميراً ص٦٧

---

(١) فى الأصل : « ودمائه ».

(٢) هذا هو الهدف من علم الطب . وهو يتفق مع تعريف التهانوى (كشاف اصطلاحات الفنون ١ : ٦١) حيث يقول عن علم الطب : « هو علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصح ويمرض؛ لالتماس حفظ الصحة وإزالة المرض ».

(٣) معناها « المتنعمين » (المنجد - ترف).

(٤) أجمع الباحثون فى كل زمان ومكان على شرف مهنة الطب؛ لأن موضوعها أبدان البشر التى هى أكرم على الخالق من سائر ما خلق. وقد أدرك الرازى هذا كله، فكتب عن واجبات الأطباء، مما يحسب له فى باب السبق والابتكار، د. يوسف حرين: مجلة المقتطف ص٥١٤ جـ٥ مجلد ٧٥ ديسمبر ١٩٢٩.

(٥) فى الأصل : « وبكونه ».

وإذا توسم[1] بخدمة الملوك ربما صار بخدمتهم أميراً[2] ؛ لا سيما إذا كان الملك عامياً[3] . كما أني سمعت أن بعضهم أصابته علة ؛ فأمره الطبيب بالحمية[4] ؛ وهو يأباها ؛ وقال : ما أصنع بالطبيب إذن[5] إذا منعني المشتهى ؟ ! وإنما اصطنعتك لنفسي ؛ لا كل ما أريد ؛ وتدفع بعلمك عني ما أكره من مضرته . ولم يكن يعلم أنه من المحال مثل هذا المقال . وأنه ليس في قوة صناعة[6] الطبيب : وأن الأطباء عاداتهم عادات الأمراء، وأمورهم نافذة على

(١) الكلمة تفيد الحسن والوجاهة والشرف (المنجد - مادة وسم)

(٢) هكذا يرفع الرازي من شأن الطب . ويبدو من مؤلفات الرازي أنه كان يبادل الأمراء الاحترام باعتبارهم أولي الأمر ، ومن كلامه : « أكمل الله للأمير السعادة ، وأتم عليه النعمة » ، « حضرة الأمير أطال الله بقاءه » ومن هنا تدرك مدى تعقل الرازي (الطب الروحاني ١٥).

(٣) العامي الذي لا يبصر طريقه .

(٤) حمى المريض أي منعه عما يضره « الحمية رأس كل دواء » (المنجد . حمى)

(٥) في الأصل : « إذا »

(٦) كلمة صناعة هنا كلمة موفقة ، حيث إنها ترد في تعاريف الأطباء اليوم فهم يعرفون الطب بأنه لغة علاج الجسم والنفس، واصطلاحاً يطلق على معرفة أدواء المرضى ومعالجتهم . فهو علم لأنه دراسة أولا ، وفن بطريقة ممارسته تبعاً لناموس الارتقاء ، وهو صناعة لأنه مورد رزق لمحترفيه . (د . حسني سبح : فلسفة الطب ( ) .

الأغنياء والفقراء[1] ؛ لأن من عاداتهم أن يأمروا ، وليس من عاداتهم أن يؤمروا[2] .

صيانة الطبيب نفسه :

فأول ما يجب عليك : صيانة النفس[3] عن الاشتغال باللهو والطرب ، والمواظبة على تصفح الكتب[4]، فعساه أن يسألك عن

---

(١) مات الرازى فقيراً - عيون الأنباء ٤٢ .

(٢) فى الأصل : « يؤمر لى » .

(٣) قديماً كان الطب والأخلاق من فروع المنهج الفلسفى .

(٤) قد يجد بعض الباحثين الرازى من أجل هذه الفكرة التى توجب الإطلاع على أبحاث الغير، لاتفاقها مع وسائل التعليم الحديثة. نوفل : المسلمون والعلم الحديث ٦٥

نرى الرازى دائما يطبق على نفسه كل ما يقوله لغيره ، وهو يقول عن نفسه بالنسبة للإطلاع : « أما محبتى للعلم ، وحرصى عليه ، واجتهادى فيه ، فمعلوم عند من صحبنى . وشاهد ذلك منى أنى لم أزل منذ حداثتى وإلى وقتى هذا مكباً عليه . حتى إنى متى اتفق لى كتاب لم أقرأه ، أو رجل لم ألقه ، لم ألتفت إلى شغل بتة ، ولو كان فى ذلك على عظيم ضرر دون أن آتى على الكتاب وأعرف ما عند الرجل » (السيرة الفلسفية ٨١) =

شيء بغتة ، ولا تحفظه ، فتعسر[1] عليك الإجابة . فيضرك ذلك عنده[2].

يذكر بعض معارف الرازى أنه لم يكن يفارق المدارج والنسخ فيقول : « ما دخلت عليه قط إلا رأيته ينسخ : إما يسود أو يبيض »
(ابن النديم : الفهرست ٤١٦)
وقد وصف الرازى بأنه كان : (فطنا ذكياً ، مجتهداً فى جملة أوقاته بالاجتهاد والتطلع والفكر فيما دونه الأفاضل)
(الشهروزى : نزهة الأرواح لوحة ٢١١)
ويرى الرازى أن المعرفة ليست وقفاً على إنسان معين ، إذ كان البحث والنظر والاجتهاد يوجب الزيادة والفضل .
(المناظرات ٣٠١ فى رسائل الرازى) (وقارن عيون الأنبياء ٤٢٠)
وقد امتدح بعض الغربيين صفة الاطلاع الدائم لدى الرازى على معارف السابقين

Sarvepalli : Hastory of philosophy Eastern and western V.11, - P. 135

(١) فى الأصل يعثر :

(٢) الحق أنه لا امتياز للإنسان إلا بالثقافة . وكثيراً ما أوصى أبقراط بأن ينمى الطبيب معلوماته بقراءة الكتب وحفظ ما يستطيع منها فى حداثته ، وحتى لا يترك مريضه ويذهب إلى استفتاء كتاب . على المجوس : كامل الصناعة الطبية ١ : ٩

ثقافة الطبيب :

فإن من الأمراء والملوك والرؤساء من يكون عامياً ، ومن الأكابر من يصادف أمياً[1] فيحسبون بقلة علمهم ، وكثرة جهلهم أن كل من نسب إلى علم ، فهو خليق[2] بأن يجيب عن كل ما يسأل من ذلك العلم ، فإن غبي بمسألة[3] فإنهم ينسبونه إلى الجهل[4]. وليسوا يدرون أنه ربما أصاب الأخرق[5]، وأشوى[6]

---

(١) الأمي من لا يعرف القراءة ولا الكتابة (المنجد - أم)

(٢) أي جدير به ، وتفيد معنى التمام والاعتدال .
(المنجد - خلق)

(٣) في الأصل : « عي » والمعنى تعثر في مسألة :

(٤) من رأى أرسطو أنه ليس شرطاً أن يجيب العالم عن كل سؤال. منطق أرسطو « نظرية البرهان » تحقيق د:بدوي ٢ : ٣٤٥ط ١٩٤٩ ، وقد قال الفقهاء نفس الفكرة ، يحي بن هبيرة : اختلاف الأئمة مخطوط بدار الكتب المصرية ورقة ٢٣٢ ب.

(٥) الأخرق الأحمق الذي لا يحسن عمله « المنجد - خرق »

(٦) أشوى السهم : أخطأ الغرض « المنجد - شوى »

الحاذق[1] وربما أشكل على العالم النحرير[2] المسألة التى يجيب عنها أقل تلامذته علماً ، وأحلهم[3] فهماً ، لا أنه ليس يحفظها ، أو لم يقرأها ، ولم يسمعها[4] ، لكن لعوز الكمال[5]

---

(١) من كتب الرازى المفقودة « الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على إبراء جميع العلل ، وأن ذلك ليس فى الوسع » وكتاب « العلة التى من أجلها صار ينجح جهال الأطباء والعوام والنساء فى المدن فى علاج بعض الأمراض أكثر من العلماء ، وعذر الطبيب فى ذلك » « الفهرست ٤٢٠ » .

(٢) النحرير : الحاذق الفطن العاقل جمعها نحارير [المنجد: نحر]

(٣) الأحل الذى فى رجله استرخاء ، فالكلمة تفيد معنى التخلف « المنجد . حل » .

ونلاحظ ان الرازى ذو ثقافة لغوية ، بعكس ما يتبادر إلى الذهن من أن هذه الكلمات خطأ .

(٤) فى الأصل : « تسمعها » .

(٥) يعرف الرازى الفيلسوف أو الحكيم بأنه : « من عرف شروط البرهان وقوانينه ، واستدرك وبلغ من العلم الرياضى والطبيعى والعلم الإلهى مقدار ما فى وسع الإنسان بلوغه » « السيرة الفلسفية ١٠٨ »

فى الإنسان[1] . ويظنون بقلة معرفتهم[2] بل يعتقدون ذلك .
أن من قرأ نوعاً من العلم ، وشرع فى فن// من ذلك ، أنه لا يجوز أن يذهب عليه مثل ما وصفنا من : نسيان شىء ، أو الإغفال عنه أو الغلط[3] فيه . وهذا مما ليس ينكره أحد ممن تدرب فى نوع من

---

(1) هكذا يرأف الرازى بالإنسان ولو كان عالما ، وهو يطلب من الطبيب أن يكون عالماً بقدر الإمكان مع الاعتراف بنقصه ، ويقرب من هذا ما يراه بعض المحدثين من أن الطبيب وحده هو الذى ينفرد من بين العاملين بصفة العالم ، دانا واتشلى : الطبيب معالجاً وعالماً ص ١٥ - ١٦ ، ترجمة زكريا فهمى — دار الفكر العربى .

(2) ينعى الرازى كثيراً على الجهال ويفضل الإعراض عنهم وعدم إعطائهم شيئاً من مؤلفاته ، فهو يقول مثلا فى نهاية كتابه « الأسرار » ص ١١٦ :

« هذه أقصى أعمال الحكماء ، فاتق الله وجنبه الجهال ومن ليس منا .
ويقول فى كتابه : « سر الأسرار » ص ١٣١ :

حرام على من وقع إليه كتابنا هذا ، أن يظهره من ليس منا ، أو فاسق ، أو سفيه ، أو يطلع العامة على ملخيه .

(3) من كتبه المفقودة « خطأ غرض الطبيب » (الفهرست ٤١٩)
فى الحديث الشريف « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان »

العلوم، أى نوع كان منه. فأما الأميون والعاميون فإنهم يتوهمون - بل يعتقدون - أن كل من نسب إلى علم النجوم[1]، فإنه لا محالة يعلم الغيب، وأن من نسب إلى الطب فإنه يقدر أن يزيل كل مرض[2]، ويشفى كل سقم[3].

---

(1) علم النجوم: «علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية» [التهانوى: كشاف اصطلاحات الفنون 1: 62]

ويعتمد التنجيم على النظرية القائلة بتأثير النجوم فى شئون الإنسان وهو أساس علم الفلك القديم ونقل عن الرازى أنه يؤمن بتأثير النجوم فى عناصر الأرض «رسائل الرازى 186 - 187» ولا يستبعد الإمام الغزالى تأثير النجوم أيضاً.

«إحياء علوم الدين 1: 35 ط الحلبى 1939»

(2) للرازى رسالة مفقودة بعنوان: «الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على إبراء جميع العلل، وأن ذلك ليس فى الوسع»

(الفهرست 420، فون جرينباوم: حضارة الإسلام 424 ترجمة عبد العزيز توفيق - مكتبة مصر 1956)

(3) يفهم من هذا أن الرازى يرى لكل إنسان طبيعة مغايرة للآخر. ويتفق هذا مع ما ذهب إليه علم النفس الحديث، من أن الدليل لا يكون كاملا أبداً، وأن المعرفة بالحقيقة تكون دائما جزئية، وعلى من ينتظر التأكد التام أن ينتظر أبد الدهر. جون بولبى: رعاية الطفل

أنواع العلل :

وإنما العلل الواقعة لها ثلاثة شروط : علة واجبة[1] البرء ، وعلة جائزة[2] البرء ، وعلة مستحيلة[3] البرء[4] .

فأما الواجبة البرء : فكحمى يوم فى أكثر الأمر ، وصداع حدث من حر شمس[5] .

= وتطور الحب ص ٢٠٠ ترجمة د . السيد خيرى ، وزميليه . دار المعارف بمصر ٩٩ . وليس من سمات الفيلسوف الحق أن يدعى القدرة على حل جميع المشكلات .

(١) فى الأصل (واجب) .

(٢) فى الاصل « جائز » .

(٣) فى الاصل « مستحيل » .

(٤) ذكر الرازى فى كتابه « المدخل الصغير ورقة ١٠٧ أ » أن أصناف الامراض التى تعترى الجسم أربعة : فى الخلقة ، ومقدار الأعضاء ، وعددها ، ووضعها :

(٥) الرازى أول من بحث موضوع الإسعاف الاولى ، ضمن كتابه (من لا يحضره الطبيب) ارجع إليه ط مصر ٥٢-٥٣ وقد استعمل تنشيط الدورة الدموية فى علاج ضربة الشمس .

(نوفل : المسلمون والعلم الحديث ٦٧)

وأما الجائزة البرء فكحمى عقدية[1] أصابت[2] إنسان قوى البدن خصيبه ، ولم تكن من جنس الحميات الخبيثة . فإن مثل هذه الحمى إذا عولجت كما يجب ، وكيف يجب ، بما يجب ، فانها تزول سريعاً . وإن لم تعالج فكثيراً ما زادت ، وربما وقفت فلم تزد .
وأما المستحيلة[3] البرء فمثل : السرطان[4] والجذام[5] والبرص .

---

(١) وقد خصص الرازى الجزأين الرابع عشر والخامس عشر من الحاوى لعلاج الحميات بكافة أنواعها فى دقة عجيبة واهتمام كبير بالإنسان (الحاوى ١٤ : ٢٧ ، ٥٩ على سبيل المثال)
ويحكى الرازى أنه أصيب بالحمى وعالج نفسه (الحاوى ١٤ : ٥٤)

(٢) فى الاصل (أصاب)

(٣) لم يعد السرطان والجذام الآن من العلل المستحيلة البرء لكن الرازى يعتبر المؤسس لنظرية علاج الأمراض المزمنة (الحاوى ٢ : ٢٦) وقد هدم بذلك نظرية علماء الطب الإغريق الذين امتنعوا عن علاج الزمنى ، وكانت أوربا تضع هؤلاء فى السجون وتقيدهم وتضربهم حتى الموت .

(٤) السرطان أورام خبيثة بالجسم ـ د . محمد زكى شافعى : دائرة معارف الطب ص ١٦٧ .

(٥) الجذام : مرض معد يصيب الجلد فيخشن أو ينعم . وقد

فالطبيب فى أكثر الأمر ملوم[1] ، وعلى أى حال . وأما فيما يمكنه علاجه فلطول وقت المعالجة . وأما فيما لا يمكنه العلاج فلعجزه عن ذلك .

الرفق وحفظ السر فى الطب :

واعلم يا بنى أنه ينبغى للطبيب أن يكون رفيقاً بالناس[2] ، حافظاً لغيبهم ، كتوماً لأسرارهم ، لا سيما أسرار مخدومه ، فانه ربما يكون ببعض الناس من المرض ما يكتمه من أخص الناس به ، مثل : أبيه وأمه وولده ، وإنما يكتمونه خواصهم ، ويفشونه[3] إلى

= يصيب الأعصاب ويسبب شللا أو عمى ، وعلاجه عسير يحتاج لطول الزمن . راجع الدائرة السابقة ص ٨٩ .

(١) ذكر هذه الفكرة للرازى صاحب عيون الانباء ٤٢٠ .

(٢) هذه بعض صفات الفيلسوف الفاضل التى ذكرها الرازى فى كتابه الطب الروحانى ص ٩١ : (إن السيرة التى بها سار وعليها مضى أفاضل الفلاسفة ، هى بالقول المجمل : معاملة الناس بالعدل ، والأخذ عليهم من بعد ذلك بالفضل ، واستشعار العفة والرحمة ، والنصح للكل والاجتهاد فى نفع الكل ، إلا من بدأ منهم بالجور والظلم) .

(٣) فى الأصل : (ينشئونه) .

الطبيب ضرورة[1]. وإذا عالج من نسائه أو جواريه أو غلمانه أحداً فيجب أن يحفظ طرفه[2] ؛ ولا يجاوز موضع// العلة ، فقد قال الحكيم جالينوس[3] ، فى وصيته للمتعلمين .

---

(١) ما زال هذا معمولا به فى مصر ، حيث تنص المادة ٣١٠ عقوبات على أن الطبيب الذى يفشى سر المريض يعاقب بالحبس ستة أشهر ، وبغرامة لا تزيد عن خمسين جنيهاً - د يحيى الشريف : الطب الشرعى ١٣ ، ١٩

(٢) الطرف : العين . أو حرفها (المنجد - طرف)

(٣) جالينوس ١٢ - ٢٠٠ م طبيب وكاتب يونانى . ولد فى برماجون وعمل جراحا لمدرسة المصارعين بها بعد أن أتم دراسته فى بلاد اليونان والاسكندرية ثم أقام بروما وذاع صيته ، وينسب إليه خمسمائة مؤلف أغلبها فى الطب والفلسفة . وقد أضاف إلى المعارف الطبية اكتشافات وصل إليها بالتجريب ، وأكد أن كل مخلوق لهدف معين (راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٩٧ ومن الجدير بالذكر أن الرازى يطلق عليه أنه (جالينوس العرب) حيث تتلمذ على مؤلفاته ولم يكن دى بور على حق فى اتهام الرازى بعدم التعمق فى فهم مؤلفات جالينوس ، تاريخ الفلسفة فى الإسلام ٩١ » كان الرازى ينتقد جالينوس أحيانا لأنه قال بالدهر وادعى فى التشريح دعاوى دون برهان (مقالة فيما بعد الطبيعة ١٢٦) .

ولعمرى لقد صدق[1] فيما قال :

على الطبيب أن يكون مخلصاً لله[2] ، وأن يغض طرفه عن النسوة ذوات الحسن والجمال ، وأن يتجنب لمس شيء من أبدانهن[3] . وإذا أراد علاجهن أن يقصد الموضع الذى فيه معنى علاجه ، ويترك إجالة عينيه[4] إلى سائر بدنها[5] . قال :

---

(١) لم يكن الرازى يخفى إعجابه بأسلافه من مفكرى الإغريق كرواد سابقين ، مهدوا للإنسانية طريق العلم والحضارة . راجع

Sarvepalli History of Philosophy Eastern and western. V.-11, P, 133.

(٢) فى الأصل « للطبيب أن يكون لله » .

يوافق الرازى على تعريف القدماء للفلسفة بأنها : « التشبه بالله عز وجل ، بقدر ما فى طاقة الإنسان » (الطب الروحانى ٧١)

وقد ورد تعريف للتصوف أيضا يشبه هذا وهو أنه التخلق بأخلاق الله . د . محمد كمال جعفر : التصوف ص ٥

(٣) قد اعتبرت نظرية الرازى فى اللذة والألم أساساً لمذهبه فى الأخلاق ، فهى ترتكز على قمع الهوى بواسطة العقل .

(٤) فى الأصل : « عينه » .

(٥) هنا نلاحظ مطابقة كلام الرازى لتعاليم الإسلام التى توصى

ورأيت من يتجنب ما ذكرت فكبر فى أعين الناس ، واجتمعت إليه أقاويل الخاصة والعامة . قال ورأيت من تعاطى النساء فكثرت

= برعاية الجسد مثلما توصى برعاية النفس : كما توصى بغض الأبصار من كل من الرجل والمرأة عما حرم الله . (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم). (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن)

وكثيراً ما نهى الرازى وحذر من اتباع الهوى وقد قام كتابه الطب الروحانى على هذه الفكرة . وهو يعتبر الانتهاء عن الهوى مبدأ أساسياً لإصلاح الأخلاق ، فيقول : (إن أشرف الأصول وأجلها وأعونها على بلوغ غرض كتابنا هذا ، قمع الهوى ، ومخالفة ما تدعو إليه الطباع فى أكثر الأحوال ؛ وتمرين النفس على ذلك) (الطب الروحانى ٢٠) . وهذا شأن الصوفية أيضا الذين يرون الهوى كله ضلالة (الرسالة القشيرية ١٢٠) .

ومن دراستنا لفلسفة الرازى ص ٢٩٣ قولنا : (ترتكز فلسفة الرازى فى توصيته بقمع الهوى ، على تحكيم العقل ، حيث يمجده ، ويعتبره من أعظم نعم الله تعالى التى تستوجب الحمد) وهو يرى أن اللذات لا توجب فضلا للإنسان ، ولا ميزة لمن نالها على سواه « فان كان كذلك فالثيران والحمير أفضل من الناس ». (الطب الروحانى ٢٥)

قالة[1] الناس فيه ، فتجنبوه ، ورفضوه ، وحرم الدخول على الملوك وعلى الخاصة والعامة. فليحذر المتطبب هذه الأمور كما[2] حذرته إياها[3] .

واجب المريض نحو الطبيب :

ينبغي لمن يختص المتطبب لنفسه ، من الملوك والأكابر والسوقة[4]،[5] ، أن يبالغ فى تطييب قلبه بلطيف الكلام ، وأن

---

(١) القالة: القول الفاشي فى الناس خيراً كان أو شراً [المنجد ـ قول]

(٢) ليست بالأصل .

(٣) قد أوصى فيثاغورس ـ مثل الرازى ـ بأن يكون الطبيب فاضلا لا معالجاً فقط ـ الشهرزورى : نزهة الأرواح ـ مخطوط لوحة ٥٦ من مبادىء الرازى : «زم الهوى وردعه واجب فى كل رأى، وعند كل عاقل وفى كل دين» ـ [الطب الروحانى ٣١]

(٤) من كتبه المفقودة «العلة التى يذم لها بعض الناس وعوامهم الطبيب وإن كان حاذقاً» (الفهرست ٤٢٠)

(٥) السوقة: الرعية من الناس للواحد والجمع والمذكر والمؤنث. (المنجد ـ سوق)

يرفعه فوق جميع من فى مجلسه من خدمه وغيرهم ، فإن هم إلا خدام جسم ، والمتطبب خادم روح[1] .

وقد كنت[2] ـ ذات يوم ـ فى مجلس بعض الملوك ، وكان له متطبب اختصه لنفسه فدخل علينا المتطبب ، فغلظ له الملك فى القول ، وقال : دعاك فلان الحاجب[3] إلى داره فلم تجبه . فقال المتطبب : أيد الله الملك ـ الأصحاء يحضرون إلى الأطباء ، ولا يستحضرونهم ؛ إلا الملك .

فقال الملك : إنما كان لك ذلك قبل أن توسمت بخدمتنا .
فأجاب المتطبب بجواب أعجب الملك والحاضرين ، فقال :

---

(١) فى رأى الرازى تختلف طبيعة الروح عن طبيعة الجسم ، فالجسم متحلل سيال والروح ليست كذلك (الطب الروحانى ٢٠)

(٢) يلاحظ أن الرازى يطبق النصائح الطبية على نفسه قبل أن يطالب بها تلميذه . وهى إحدى السمات الأصيلة التى يمتاز بها فكر الرازى وسلوكه ـ راجع عيون الأنباء ٤١٦ .

(٣) الحاجب تجمع على حجاب وحجبة : البواب ، وربما خص ببواب الملك . ومهنته الحجابة ، أى الستر والمنع من الدخول (المنجد ـ حجب)

أيد الله الملك - ظننت أن خدمته تزيد فى الرفعة وعظم القدر، لا [فى] الضعة وخمول الذكر[1] . ففهمه الملك ، واعتذر إليه وأكرمه ، وخلع عليه .

وأشفق من حول الملك به طبيبه، فإن كثيراً من قرابته وخدامه يسرون // بمرضه وموته ، طمعاً لوراثة ماله أو ملكه ، والطبيب ص٣٧٠ جاد مجد ؛ فى حفظ صحته ، مسرور بدوام عافيته[2] .

ولا شيء أنكر لقلبه من مرض مخدومه - فإنه يريد أن يدفع عنه علته فى أقصر لة، وأسرع وقت ، وأهون علاج . وإن لم يمكنه ذلك ، فان للعلل درجات أربعاً : ابتداء وتزيدا ومنتهى

---

(١) فى الأصل « رفعة وعظم قدر ، لا ضعة وخمول ذكر »

(٢) يقرب من هذا مايراه إميل لودفيغ من أن الطبيب هو الذى يمسك ميزان السعادة بيديه : له . الحياة والحب ص ١٤٦ ترجمة عادل زعيتر - دار المعارف بمصر ١٩٥٠ .

أما برناردشو فيرى عكس رأى الرازى ، حيث ذم الأطباء ومهنة الطب ؛ ولعلها تجربة شخصية مرت به — له : حيرة الطبيب ١٦-٣١ ترجمة د . عمر مكاوى - دار الفكر العربى ١٩٦٢ .

إعطاطاً[1] .

وإن المخدوم إذا أحسن إلى من يختصه لنفسه من المتطببين، جد ذلك المتطبب ، فى حفظ صحته ومداراة علته . وقد صدق - لعمرى - الحكيم أبقراط ،[2] حيث قال : صانع الطبيب

---

(١) يلاحظ هنا أن الرازى يميل إلى ذكر بعض القوانين الكلية ومن كتب الرازى المفقود « تقسيم الأمراض وأسبابها وعلاجاتها على الشرح » . (الفهرست ٤١٨) .

وكتاب « تلخيص كتاب العلل والأمراض » وكتاب « تلخيص كتاب المواضع الآلة » (الفهرست ٤١٩) .

وكتاب « العلة اليسيرة بعضها أعسر تعرفا وعلاجا من الغليظة » .
وكتاب « العلل القاتلة لعظمها والقاتلة لظهورها بغتة » .
وكتاب « العلل المشكلة » (الفهرست ٤٢٠)

(٢) أبقراط ٤٦٠ - ٢٧٠ ق . م - طبيب يونانى معروف ، ويطلق عليه أبو الطب . درس بأثينا ، واستكمل دراسته خلال أسفاره فصل الطب عن الخرافات والغيبيات، وأقامه على أساس علمى، فكان

قبل أن تحتاج إليه . وم [illegible] ، ربة ل : عمله عمل من طب لمن حب[1] .

ولا شيء أجدى على العليل ، من أن كون الطبيب مائلا إليه بقلبه ، محباً له .

نهى الطبيب عن التكبر :

واعلم يا بنى أن من المتطبيين من يتكبر على الناس ، لاسيما إذا اختصه ملك أو رئيس . وقد قال الحكيم جالينوس : رأيت من

= له أعمق الأثر فى تقدمه ، وكان يهتم بمراقبة أحوال المريض ، ولاسيما أحوال وجهه ، وهو ما يعرف « بالوجه البقراطى » وعرفه العرب باسم بقراط ، ونقلوا بعض كتبه إلى العربية مع شرح وتفسير ، وأشهر هؤلاء : حنين بن إسحق ، وعيسى بن يحيى ، وثابت بن قرة ، وعبدالرحمن ابن على راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ٧ .

(١) هذا مثل يجب أن يحفظه كل إنسان ويطبقه فى المعاملات الأخرى . وهنا مطابقة فى المعنى مع قول الشاعر :

إن المعلم والطبيب كليهما

لا ينصحان إذا هما لم يكرما

المتطببين من إذا داخل[1] الملوك ، فبسطوه تكبر على العامة ، وحرمهم العلاج[2] ، وغلظ لهم القول ، وبسر[3] في وجوههم[4] فذلك المحروم المنقوص[5] . فدعا الحكيم إلى أضداد هذه الخصال

---

(١) فى الأصل : (دخل) .

(٢) يرى أفلاطون أن الطبيب هو شافى المريض ، لا جامع المال - جمهورية ٥٦ .

(٣) بسر : قطب وجهه (المنجد - بسر)

(٤) وحديثاً عالج بعض أطباء أوربا قوما من البدائيين فلم يعترفوا لهم بأى فضل ، بل كانوا يودون أخذ أجر من الطبيب ، وكأنهم هم الذين قدموا خدمة له ، ومع هذا يفخر الأطباء بأنهم لم يتخلوا عن واجبهم . برجسون . منبعا الدين والأخلاق (١٤١) .

(٥) للرازى هنا منهج يتم فى السلوك الخير . وقد وضحه (فى الطب الروحانى ص ٩٢) بقوله : « إن الإنسان إذا لزم العدل والعفة ، وأقل من مماحكة الناس ومجاذبتهم سلم منهم على الأمر الأكثر ، وإذا ضم إلى ذلك الإفضال عليهم ، والنصح والرحمة لهم ؛ أوتى منهم المحبة ، ونلاحظ أن الرازى هنا يحاول إصلاح أخلاق نفوس الأطباء قبل أن يبدأ هؤلاء فى إصلاح أجسام المرضى ، وقد اهتم الرازى بهذين الميدانين فى الطب . (الطب الروحانى ص١٥)

التى ذكرها ، وحث[1] عليها .

وجوب علاج الفقراء :

قال :[2] وينبغى للطبيب أن يعالج الفقراء ، كما يعالج الأغنياء[3]
وهكذا يجب علينا أن نقتفى السنة التى سنها الحكيم .

---

(١) فى الأصل « وخص » .

(٢) يقصد جالينوس . وكذلك فى الفقرة التى بعدها .

(٣) الإنسان هو الإنسان عند الرازى لا فرق بين غنى وفقير فى وجوب الرعاية والاحترام . وقد ورد أن للرازى كتاباً مفقوداً فى الفقراء والمساكين - ألدوميلى : العلم عند العرب ٥٤٤ .

وقد وصف الرازى نفسه بأنه كان براً حنوناً ، يجد فى خدمة الإنسان وفى تخفيف البؤس عنه - مجلة المباحث - العدد ٨ من السنة الأولى ١٩٠٩ ص ٣٥٧ - ٣٤٩ :

وكانت رغبة الرازى فى علاج الفقراء أشد من الأغنياء : ولذا سعى إليه المرضى من كل مكان ، وكان يجرى على الفقراء الجرايات الواسعة - عيون الأنباء ٤١٦ ، إخبار العلماء ١٧٨ .

وتشهد سيرة الرازى بأنه طبق هذا الكلام عملياً ، يقول عنه ابن النديم فى الفهرست ص ٤١٦ إنه كان : « كريماً » متفضلا ، باراً بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء » .

نهى الطبيب عن العجب :

قال : ورأيت من المتطببين من إذا عالج مريضاً شديد المرض فبرأ على يديه، دخله عند ذلك عجب[1] وكان كلامه كلام الجبارين[2] فإذا كان كذلك ، فلا كان ، ولا وفق ، ولا سدد . وإنما نهى الحكيم[3] عن هذه الخصال ؛ لكى تجتنب .

توكل الطبيب على الله تعالى :

ويتكل الطبيب فى علاجه على الله تعالى، ويتوقع البرء منه[4].

---

(١) نهى الرازى بشدة عن العجب ؛ لأنه ضد تقدم المعرفة، وهو الخلق الكريم ؛ فإن معظم أدواء النفس تابعة من فرط محبة الإنسان لنفسه . (الطب الروحانى ٥٠)

(٢) الجبار : القاهر ، المتمرد (المنجد - جبر) .

(٣) يريد به جالينوس .

(٤) هذا رد صريح على من يتهمون الرازى بالإلحاد، فهذه الفكرة تطابق قول الله تعالى : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » وقوله سبحانه: « وإذا مرضت فهو يشفين » .

وترى بعض عبارات التوكل فى مؤلفات أخرى للرازى مثل : « أستعين =

ولا يحسب قوته وعمله ، ويعتمد فى كل أموره عليه . فاذا فعل بعقد ذلك ونظر إلى نفسه وقوته // فى الصناعة وحذقه ، حرمه الله [illegible] البرء[1] .

معرفة الحالة السوية قبل المرضية :

وينبغى أن تدخل على مخدومك كل يوم ، وتقعد بالقرب[2] منه ، وتجس[3] نبضه[4] إن أشار بيده إليك ، فإن من لم يجبن

= به (سبحانه) وأتوكل عليه » (سر الأسرار ١١٨) و « حسبنا الله ونعم الوكيل » (برء الساعة ١٣) .

كما أنه يطالب تلميذاً آخر له بمواصلة طاعة الله تعالى فهى سر النجاح : « واظب على الطاعات تكمل لك أعمالك ، ويوفقك الله تعالى لما تؤمله » (الأسرار ١١٦) .

(١) البرء : الشفاء . (المنجد ـ برأ) .

(٢) هذا مطابق لما يراه علم النفس اليوم من أن دراية الطبيب بالظروف اليومية للمريض تمكنه من إسداء النصح الناجع له ـ جوف بولبى : رعاية الطفل ١٩٣ .

(٣) فى الأصل « تحنين » .

(٤) من كتب الرازى المفقودة كتاب « اختصار كتاب النبض الكبير لجالينوس » (الفهرست لابن النديم ٤١٨) .

بعض شأن في حال صحته ، لم يمكنه أن يحكم عليه وقت علته .

النهى عن كثرة الكلام :

وإياك وكثرة الكلام فى مجلسه فى هذا العلم[1] إلا إذا ابتدأك هو به ، أو بعض ندمائه[2] .

غذاء المريض :

ولا تذكر على مائدته[3] أن هذا الطعام يضر عضو كذا أو يهيج علة كذا ، وإن كان ردىء الخلط جداً ، إلا بمقدار ما لا بد منه ، مثل أن يجتمع على مائدته[4] ، السمك والرايب ، أو الجبن والبيض ، أو أشباه هذه ، مما لا يجوز أن يجمع بينهما فى وقت

---

(١) عاب الرازى سقراط ؛ لأنه فى أول حياته لم يكن يستعمل التقية للعوام ولا للسلطان . ثم رجع عن ذلك (السيرة الفلسفية ٩٩)

(٢) النديم : المنادم على الشرب . وتطلق على الرفيق والصاحب (المنجد - ندم) .

(٣) فى الأصل (مايدته) .

(٤) فى الأصل (مايدته) .

واحد ألبتة . ويجب أن تعلم[1] كل يوم كمية طعمه ، وكيفية طبعه ، فى قلته وكثرته ، وهشاشته لذلك أو كراهته ، فإن من علم مطعم إنسان ومشربه ، ونومه وسهره ، وفراغه وشغله ، وسائر أحواله من الباه[2] وغير ذلك ، فما أقل ما يقع فى علاجه من الخطأ[3] .

وينبغى أن تأمر له كل يوم أن يتخذ له من الغذاء ما تعلم أنه يكون مصلحاً لما تناول فى أمسه من أغذية ، دافعاً لما ينتظر من مضرته . ومل فى ذلك إلى ما يشتهيه ميلاناً ما ، فإن الطعام المشتهى أوفق للأصحاء والمرضى مما لا يشتهى ، وإن كان أردأ ، وقدر شرابه وكيفيته وكميته وترتيبه[4] .

وإياك أن تحرم على الملوك ، وعلى من ليس من عقلاء الرجال

---

(١) فى الأصل « أن يكون تعلم » .

(٢) الباه فى رأى الرازى أحد العوارض الرديئة التى يدعو إليها الهوى . وهو لذة جالبة للأسقام المتعددة ؛ ولذا يجب الاعتدال فيه تماماً .

[الحاوى ١٠ : ٤٥ ، الحصى فى الكلى والمثانة ٨] .

(٣) الرازى كتاب قيم فى « منافع الأغذية » ط مصر ١٣٠٥ هـ .

(٤) الكلمة غير واضحة تماما فى الأصل .

ولا على الصبيان[1] والنساء، شيئاً يشتهونه بمدة[2]، لكن امنعهم منه يسيراً يسيراً[3]، وحذرهم من الإكثار، فإن ذلك أحرى ألا يتناولوا منه فى السر شيئاً كثيراً، وتلاحق ضرر ما يحدث

---

(1) يعتبر الرازى من أوائل المفكرين الذين كتبوا فى طب الأطفال كفرع مستقل بذاته. وهو يميز بين علل وعلاج الأطفال والكبار «القاضى فى الطب ٩٢ : ٩٣».

Klein ; The Psycho - Analysis of Children. P. 574 London 1954.

(2) نرى الرازى دائم الإشفاق على المريض، ومن ثم يجعله استثناء من القاعدة، ومن كلامه : «إن اشتاق المريض اللبن فأعطه منه مرة ثانية» (الحاوى ٥ : ٨).

وبالنسبة للناقهين من المرض يقول : «إذا اشتهوا من الطعام ما يضرهم، فيجب للطبيب أن يحتال فى تدبير ذلك، وصرفه إلى كيفية موافقة، ولا يمنعهم ما يشتهون بتة، ولعله يبحث عما يلائم طبيعة المريض ليعود إلى حالته الأولى (عيون الأنباء : ٤٢)

(3) هنا مبدأ التدرج فى العلاج والتربية، وهو مبدأ هام لدى الرازى تشيع روحه فى كتبه. (الطب الروحانى ٣٢)

منه ، فان دفع مضار الأغذية[1] جزء عظيم من أجزاء الطب فى حفظ الصحة .

---

(١) للرازى كتاب مطبوع بعنوان : منافع الأغذية ودفع مضارها ـ مصر ١٣٠٥ هـ . وفى الحديث الشريف حقاً : « المعدة بيت الداء » .

ولم يفت الرازى أن يحذر كثيراً من الإفراط فى الطعام والشراب؛ لأنه يؤدى إلى الهلاك السريع . وقد عقد فصلا خاصاً لذلك فى كتاب الطب الروحانى ؛ وتشيع هذه الفكرة فى جميع كتبه (أنظر مثلا من الحاوى ٦ : ٢٢٦ ، ٢٢٨) :

ومن مبادئه التى يقدمها للطبيب ، مهما قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية (منافع الأغذية ٤٤ - ٤٥) .

وقد حشد الرازى فى مؤلفاته الحديث عن ألوان الأغذية ما يصلح منها وما لا يصلح ، وله رسالة مفقودة فيما يقدم من الطعام وما يؤخر حيث كان يساير بها مظاهر الآداب الاجتماعية فى عصره ولاسيما كان متصلا بالولاة . (منافع الأغذية ٢ : ٥٥ أحمد أمين : ظهر الإسلام ١ : ١٠٧ ط ٣ - ١٩٦٣) .

استخدام الدواء :

وينبغى لك إذا ناولته شربة // أو دواء[1]، أن (تصيب[2]) منه ص بمشهده مقداراً ، فان ذلك أبعد من التهمة ، وأقرب إلى الثقة ، وأحرى[3] بأن يعتمد عليك ، وتفوض أموره إليك . وليس ذلك ما يجب فى كل وقت ، بل إذا كنت توليت أمر ذلك الدواء . فأما إذا تولاه بعض غلمانه ؛ أو صاحب شرابه ، فليس ذلك بواجب عليك .

وقد كنت ذات يوم فى مجلس بعض الأكابر[4] ، وأعطاه

---

(١) الدواء جزء من الطب ولا يجب أن يعطى إلا بإذن الطبيب. راجع د . محمد زكى شافعى : دائرة معارف الطب والعلاج المنزلى ص ١٣٩ ط ٢ - دار الفكر العربى .

(٢) سقطت من الأصل .

(٣) أولى وأجدر (المنجد - حرى) .

(٤) فى التاريخ أن الرازى قد عاش فى عصر آل سامان (٢٠٤هـ - ٣٩٥ هـ) الذين كانوا رعاة الحكمة والعلم والفن والأدب ، وكانوا من أحسن الحكام سيرة ، وازدان بلاطهم بكبار العلماء والأدباء ، من أمثال : ابن سينا ، والفردوسى ، والرازى الذى اختاروه لرئاسة البيمارستان العضدى ، دليله الثقة به . (الفهرست ٤١٥ - وفيات الأعيان ٤ : ٢٤٥) .

الطبيب شربة ، فبسر وجهه ، فقال بعض ندمائه :

لم لا أصبت منها ؟ فقال الطبيب : أو كل شربة أو دواء[1] يحضر المجلس يجب على أن أصيب منه . إنى إذن من عباد الله المتلفين ! فقال له صاحب المجلس : صدقت ، وأمر بتسليم مفاتيح بيوت الدواء[2] ، وبيوت الشراب إليه .

---

(١) للرازى اهتمام كبير بمسألة الدواء ، فلا يخلو مؤلف من مؤلفاته من ذكر دواء للروح أو للجسد ، وهو يفضل الدواء المفرد على المركب ولم يصف الرازى دواء إلا بعد إجراء تجارب عليه ليتأكد من مفعوله بنفسه ، وقد يراجع القدماء فى ذكرهم لبعض الأدوية ، وقد خصص القسم التاسع من الحاوى للأقراباذين ، وهى المواد التى تدخل فى تركيب الدواء وقد انتفع به الأوربيون مدة طويلة : (د . هاشم الوترى ، ودكتور . معمر خالد : (تاريخ الطب فى العراق ٢٦)

(٢) من كتب الرازى المفقودة كتاب « إبدال الأدوية » (الفهرست لابن النديم ٤١٨) وكتاب « أثقال الأدوية » (هدية العارفين ٢ : ٢٧) وكتاب « الأدوية الموجودة بكل مكان » (السيرة الفلسفية للرازى ١٠٩ ، الفهرست ٤١٨) .

النهى عن ذكر السموم لدى الأمير :

وإياك وذكر شيء من السموم القاتلة[1] بين يدى الملك ؛ أو سوقه ، وتقول : إنى أعرفها ، أو واقف على شيء منها ، أو على ضررها ، فهى بمعزل عن صناعة الطب . وليس يحتاج إلى ذكرها ولا استعمالها . وترك ذكرها أصلح من ذكرها . وإن هو سألك

---

(١) كان الرازى خبيراً فى هذه المركبات، لأنها تتصل بالكيمياء، وقد اعتبر الرازى أبا الطب الكيميائى ، وكان يحبذ أن يكون الفيلسوف على علم بالكيميا، ليستغنى عما فى أيدى الناس. وفى عهد الرازى اختلطت الفلسفة بالصيدلة والكيمياء ، ووجد ما يسمى « صيدلية كيميائية » واستطاع الرازى استحضار الملينات من النبات : (مسالك الأبصار) لوحة ٣٠٣ ج ٥ مجلد ٢ مصطفى لبيب : الكيمياء عند العرب ٤٩ .

وقد لاحظنا بعد قراءتنا لكتابى الرازى : الأسرار وسر الأسرار أنهما مؤسسان على فكرة البحث عن العلاج بجميع الأدوية المختلفة فى ذلك العصر ، وذلك بإجراء تجارب كثيرة معقدة ودقيقة . ترى ماذا كنا نتوقع لو عاش الرازى عصر الذرة ، وتمكن من استخدام الأجهزة الحديثة !

عنها فلا تجب عن ذلك ، ولا تشرع فى ذكرها ، وألق نفسك منها جانبا[1] .

وجوب تقريب الطبيب :

ويجب على من استخدم الطبيب أن يقربه من نفسه ، ويكلمه كما يكلم أخص الناس به ، كيلا يحتاج الطبيب بينه وبين مخدومه إلى سفير[2] ، فإنه ربما يقع بالإنسان من العلل المستحى[3] ، منها

---

(١) حق لبعض خصوم الرازى من أمثال ابن سينا والشهرزورى أن يشهدوا له بالتفوق فى الطب ـ الشهرزورى : نزهة الأرواح لوحة ٢١٠ وحق لمنصفيه من أمثال ابن خلكان أن يقول عن الرازى طبيباً : « كان متقنا لهذه الصناعة ، حاذقا بها ، عارفا بأوضاعها وقوانينها ، تشد إليه الرحال لأخذها عنه » (وفياته ٤ : ٢٤٤) .

ويقول عنه العمرى فى مسالك الأبصار لوحة ٣٠١ جـ ٥ مجلد ٢ :

« فضله المنوع جم المذاهب . جاع المحاس الذواهب . وأكثر النقل يقف عند سلسلته ، وأعمق المشكل به تعرف مسألته » .

(٢) السفير : الرسول المصلح بين القوم (المنجد ـ سفر) .

(٣) فى الأصل : « المستحياة » .

ما يحتاج الطبيب أن يأمر بعلاج فى ذكره كراهة، مثل الشيافات[1] والحقن .

فإذا لم يكن المتطبب مقربا فيمنعه[2] الحشمة أو الجبن أن يشير عليه بذلك العلاج فربما أدت // حشمته منه إلى إتلاف نفسه . كما ص٣ أنى سمعت أن ملكا أصابته علة القولنج ، فاحتاج الطبيب فيها إلى استعمال الحقنة ، ولم يكن الملك سمع بوصفها ، إذ كان عامياً لم يشاهد العلماء . فأشار الطبيب عليه باستعمالها . فلما وصفها له ظن الملك بقلة عقله وكثرة جهله . أن ذلك باستخفاف من الطبيب ، وتهاون بعلاجه . فغلظ له القول ، وقال : بمن ينبغى أن يفعل ما وصفت؟ ! فخافه الطبيب على نفسه فقال : بى . أيد الله الملك ! قال : أو ينفعنى ذلك ؟ فقال : المتطبب قد قيل : إنه ينفع : وترك علاجه ، فتلف فيه .

وحكى هذا الطبيب أنه لو حقن لفاز ونجا . فلما لم يكن مقربا من مخدومه . حتى يمكنه أن يباسطه فى الكلام ، خافه وترك

---

(١) الشيافات : نوع من الأدوية .
(٢) فى الأصل : « فيمنه »

علاجه ، وكان فى ذلك هلاكه[1] .

نهى الطبيب عن السكر :

وإياك ومعاقرة[2] الشراب ، إذا كنت معيناً لخدمة الملوك والأكابر ، فإنه ربما احتاج إليك فى وقت فتصادف سكران ، فتصغر فى عينه ، ويقع فى علاجك من الخطأ[3] ما لم يمكنك تداركه

---

(١) نلاحظ هنا إيمان الرازى القوى بقيمة الطبيب وضرورة أن يكون فى المجتمع أطباء .

وعند التهانوى : كشاف ١ : ٧٢ - أن علم الطب فى تصحيح الأبدان من فروض الكفاية . ونقل استحباب بعضهم تعلم كل إنسان من الطب قدر ما يمتنع به عما يضر بدنه .

(٢) المعاقرة هنا : إدمان الشراب (المنجد - عقر)

(٣) يحرص الرازى هنا على أن يكون عقل الطبيب حاضراً معه ، لاسيما وقت العلاج . وقد بين قيمة العقل بأنه : « الشيء الذى لولاه كانت حالتنا حالة البهائم والأطفال والمجانين » - الطب الروحانى ١٨ -

ويقول كذلك : « من لم يكن له عقل ولا فطنة ولا حيلة ، فليس بحكيم ، وهو عامى » - سر الأسرار ١٢٠ . وقد صرح الرازى أيضاً

إلا إذا أمرك هو به . فأما إذا استعملته بنفسك ، فبمقدار [1] ما تحتاج إليه فى حفظ صحتك ، أو دفع علة [2] (ما) .

بضرر السكر ، لما فيه من ضياع شخصية الإنسان والقعود به عن إدراك جل المطالب الدينيه والدنيوية .

وهو لا يجيز الخمر إلا علاجا ضروريا فقط . وفيما عدا هذا فإنه يذم السكر والسكير ، لما يجره السكر من ضروب الأسقام والبلايا والمهانة التى لا يرضاها عاقل يحترم نفسه . يضاف إلى هذا أن الإدمان ضد التفلسف والسعادة ـ الطب الروحانى ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٣ .

ومن كتب الرازى المفقودة : « مقالتان فى السكر » و « محنة الطبيب وكيف ينبغى أن يكون حاله فى نفســـه وبدنه وشربه » الفهرست ٤١٩ ، ٢٤٠ .

(١) فى الأصل « فمقدار » .

(٢) قد أوصى أبقراط من قبل بألا يكثر الطبيب من شرب النبيذ حتى لا يفسد ذهنه ، خوفا على مريضه ـ على المجوسى : كامل الصناعة الطبية ١ : ٨ .

ملازمة الطبيب للمريض بعد الدواء :

وإذا أسقيته المسهل[1] والمقيء ، فينبغي لك أن تلازمه ، لئلا يخطيء في الطعام والشراب .

قيل : وفيه الذي يجب فيه ؛ فإن من المترفين من تقدم بقلة ضميره وكثرة شرهه ، على أن مرض سنة ، لآفات // ص١٧٤ كثيرة ، فيصيب من الطعام[2] ، وقد بقي في معدته شيء من حنذة[3] الدماغ ، أو من رائحته ، فيخالط ذلك بالطعام ، ويعطية طبعه ، فصار الطعام مسهلا .

وربما دام ذلك أياما ، وجلب على صاحبه أمراضاً ، وأصابه مغص يقطع في بطنه . ولا يكاد يقبل العلاج إلا بكد شديد ، وبعد

---

(١) أضاف الرازي إلى الصيدلة استعمال المسهل المحلي والمحاجم: لمعالجة داء السكتة والرمد — الحاوي ٢ : ٤٨ ، حيدر بامات : مجالي الإسلام ١٤٦ .

(٢) من كتب الرازي المفقودة «أطعمة المرضى» الفهرست ٤٢٠ .

(٣) في الأصل « حنذة » أما (حنذة) فهي الحرارة الشديدة .

جهد ، وإتعاب نفس . وربما دام ذلك الإسهال أياماً وشهور

ضرر كتمان السر عن الطبيب :

ومن أعظم الخطأ ، أنه إذا فعل ذلك ، كتمه الطبيب ، مريد بذلك دفع اللائمة عن نفسه . ومن أخطأ خطأ وكتمه ، فقد جنايتين ، وارتكب خطيئتين[٣] . والطبيب لا يهتدى لعلاج لم يفش إليه سره .

---

(١) يرى الرازى أن فى الجسم الإنسانى أربع قوى طبيعية: وماسكة وهاضمة ودافعة . وكثيراً ما حذر من إعطاء المريض أو غذاء يسقط قوته ، كيلا تقل مناعته ضد الأمراض ـ الحاوى ٢١ . وإن أسمى ألوان الطب اليوم هو ما كان للوقاية . وكان ال يهتم بالوقاية اهتماما فائقا ، وقد شاع هذا المنهج فى معظم كتبه ـ مثلا من الحاوى ١ : ٦٩ ، ٨٨ .

(٢) فى الأصل « مريد » .

(٣) هذه قاعدة عظيمة ، ينبغى أن يراعيها كل عليل ، كيلا الطبيب ، فيتأخر شفاؤه ، أو لا يهتدى الطبيب إلى هذا الشفاء .

فمن أجل هذا ، يجب أن يلازمه الطبيب ، من الوقت الذى
[ي]سقيه المسهل ، إلى أن يستفرغ ويفرغ[1] ، فإن ذلك من أحزم
[الأ]مور ، وأوكدها فى حفظ الصحة ، وبتر[2] الأمراض والعلل ، ودفع
[الم]لامة عنه وعن نفسه ، بسببه[3]

وقد سقيت – فى بعض الأوقات – فتى قريب السن من المترفين
[م]سهل ، فأخطأ فى ذلك خطأ كتمنيه ؛ استحياء ، إذ[4] كان
[و]اهقا[5] .

---

(١) من كتبه المفقودة كتاب « استفراغ المحمومين قبل النضج » – [ف]هرست ٤١٩ .

(٢) فى الأصل : « وبن » .

(٣) كثيراً ما يحس القارىء ، أن الرازى خبير بطبائع النفوس [ب]الإضافة إلى خبرته فى طب الجسد . وقد اعتبرت حياة الرازى نموذجا [لحي]اة الأفذاذ الموهوبين المتعددى المواهب ، فهو : فيلسوف وطبيب [وع]الم طبيعى . وبالجملة هو ذو عقلية تركيبية موسوعية . وسوف تنشر [در]استنا عن فلسفته إن شاء الله تعالى من مكتبة الأنجلو المصرية بعنوان [« أ]صول الفكر الفلسفى عند أبى بكر الرازى » .

(٤) فى الأصل : « إذا » .

(٥) فى الأصل . « واهقا » :

وكان قد قارب في الليلة التي شرب فيها المسهل ، بعض خط فأصابه بعقبه ضعف ، ووجع في كلاه . فلما فتشت عن حاله ، أخبر بعض خدمه بما فعل ، فعالجته ، فبرىء . وقد كنت قدرت ، أنه لم يكن أخبرني (هؤلاء) ، لطالت به المعالجة والعلة [1] .

فصد المريض بعد معرفة حاله :

وإذا أردت إخراج الدم له بالفصد [2] ، فيجب أن تجس نبضه // ، وتتفقد بوله ، لاسيما إذا كنت قد اتصلت بخدمته منذ ريب .

فأما من امتدت به الأيام في الخدمة ، وعرف عادة المخدوم فإنه قد يمكنه أن يشير عليه بإخراج الدم ، بغير هذين ، من حمرة لون ، أو در [3] عرق ، أو رعاف [4] ، أو غير ذلك ، مما يدل ع

---

(١) في الأصل : (لطالت بره المعالجة وبه العلة) .

(٢) الفصد : شق عرق المريض .

(٣) في الأصل : « دور » .

(٤) الرعاف : نزيف من الأنف بسبب حمى أو لطمة أو غير ذلك ـ راجع د . محمد زكي شافعي : دائرة معارف الطب والعلاج المنزلي ص ١٥٢ ط ٢ ـ دار الفكر العربي .

غلبة الدم[1] فى كميته ، أو رزانة فى كيفيته .

واعلم أنه ليس لمن يلازمه الطبيب ، لصحته ، أو يعتاد علاجه لخدمة أو عادة[2] . . . من غير أن يكون غير مشار للطبيب فى وقت صحته ، وأيام سلامته ، فى اعتماد غذاء ، أو إخراج دم أو شرب دواء .

حتى إذا نزلت به علة ، أو أصابته آفة ، فحينئذ يفزع إلى الطبيب فلم تره[3] يمكنه أن يعرف من أحواله فى ذلك الوقت ؛ ولو كان

---

(١) نلاحظ هنا ، أن الرازى يهتم بعنصر الدم فى العلاج ، لأنه يرى الدم أول الطبائع التى ركب منها الجسم ، وتوضيح هذا أنه يرى الإنسان عالما صغيرا ، وقد خلقه الله تعالى وركبه من أربعة طبائع متضادة فى طبعها وهى : الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء ـ الرازى : المدخل الصغير إلى علم الطب ـ ورقة ١٠٦ مخطوط .

(٢) فى الأصل كلمة غير واضحة ، ورسمها هكذا : « مكرادريه

(٣) فى الأصل : « لم تراه »

من أمهر الناس ، وأقدرهم على البحث[1] ، والقياس[2] ، ولاسيما إذا كان ما أصابه علة حارة ، لا تمهله [3] ، أن يستعد لصناعته ، ويبحث عن أحواله ، وما جرى عليه من عاداته .

ولذا قال الحكيم أبقراط : « العمر قصير ، والصناعة طويلة ، والوقت ضيق » . وإنما صار الوقت ضيقاً ؛ لأن الأوقات التي تستعمل فيها العلاجات الجزئية ، كل يوم[4] ؛ لسيلان العنصر الموضوع للطب ، وهو أبدان الناس[5] .

---

(١) تميزت فلسفة الرازى - مثل الفلسفة الحديثة - بشيئين : تحرير العقل من الجمود والتقليد ، ثم استخدام القياس والتجربة لترقية العلم .

(٢) القياس معناه المشابهة . وهو فى المنطق : قول مركب من قضايا إذا سلم بها لزم عنها لذاتها قول آخر .

(٣) فى الأصل : « لا نهمله » .

(٤) فى الأصل عبارة مكررة مع الجملة السابقة وهى : « وإنما صار الوقت ضيقاً » .

(٥) هذه الفكرة موجودة فى كتاب الرازى « الطب الروحانى ٢٨ » حيث يرى أن الجسم من جوهر متحلل سيال ، ولا بقاء لمتحلل إلا بأن يخلف بدلا مما تحلل منه .

وقد صح لى فى هذا الباب بالتجربة[1] ، شىء عجيب ؛ وذلك أنه كان لى صديق ، كثيراً ما كان يختلف[2] إلى ما عندى . وكان يعتريه فى بعض الأوقات خناق بلغمى[3] .

فدخل على يوماً ، وقد احمر وجهه ، وبرزت[4] عروقه // ، ص١٧٦ مثلما يكون عليه أوجه السكارى . فسألته[5] عن حاله ؛ فقال :

---

(١) الرازى فيلسوف ذو اتجاه تجريبى دقيق . ولإيمانه بالعقل أكد أهمية التجربة ؛ ولا سيما فى الطب ، الذى هو فى تطور مستمر . ومن رأيه ألا يثق الإنسان فى طبيب مهما كان شأنه ، إلا أن يبلغ مرحلة التجريب بنفسه ـ الحاوى ١٢ : ٨٥ ، عيون الأنباء ٤٢١ .

(٢) فى الأصل : « يختلف » .

(٣) هو الربو الشعبى . وجاء فى كشاف التهانوى ٢ : ٢٣٠ « الخناق ـ بالضم وتخفيف النون ـ عند الأطباء ، وهو ورم فى عضلات الحنجرة والنغنغ ، وهو موضع بين اللهاة وشوارب الحلقوم . وأردؤه الكلبى ، وهو الذى يحوج صاحبه دائماً إلى فتح فمه وولع لسانه » .

(٤) فى الأصل : « ودزت » .

(٥) هذا مبدأ هام لدى الرازى ، وهو مبدأ المساءلة ؛ فإن المريض كثيراً ما يكون أعلم بالسبب من غيره .

كنت جالساً فى دكان عطار ، أحدثه ، فشق نافجة مسك[1] ، وسحق منه شيئاً صالحاً [2] على صلايته . فجاء إلى ما عندنا رجل فى عقله بعض الخلل ؛ يشترى منه الطيب .

فلما اشتغل العطار بذلك ، أخذ الرجل المئوف ،[3] ما على الصلاية[4] من المسك ، ولم أكن أحفظ نفسى منه فإذا أنا به ، وقد نفخه فى أنفى بفمه على ما ترى .

ومكث عندى هنيهة ، وقام وخرج ، فخر فى الطريق ، وأخذته العلة التى كانت تعتاده على الأيام . فذهب به إلى دار صديق له ، ودعا بمطبب غريب ؛ لم يعرف حاله ؛ فظن ذلك الطبيب أنه خناق دموى ، ودعيت أنا .

---

(١) النافجة : الجلدة التى يجتمع فيها المسك . وهذا المسك طيب من دم دابة كالظبي يدعى (غزال المسك) والقطعة من المسك تدعى مسكة .

(٢) فى الأصل « صالحاً » ، أما « الصالج » بالجيم ، فهو الشديد الأملس .

(٣) فى الأصل «المأوف » . وكلمة « المئوف » تعنى العاهة والفساد .

(٤) فى الأصل « الصلاية » والصلاية : مدق الطيب

فلما أن دخلت عليه ، فإذا أنا بالمتطبب ، وقد [شمر عن[1]] عضديه ، واستعد أن يفصده . القيفالين[2] . فنهيته عن ذلك ، ومنعته من فصده . وعالجته من العلاج بما كنت عرفته[3] ؛ فبرأ. ولو فصده لعمل فى إتلاف نفسه[4] .

ورأيت مرة رجلا أصابته علة ؛ فجاء طبيباً ، فأمر له بدواء يستعمله على مر الأيام ؛ فكان لعلته شافياً .

فأصابت هذه العلة بعينها ، رجلا آخر . فعلمه الرجل الأول ذلك الدواء . وكان الرجل الثانى يعتريه الصرع[5] . فكان كلما

---

(١) ليستا بالأصل .

(٢) القيفال : عرق فى الزراع يفصد .

(٣) وقد يوجب الرازى ، الفصد فى بعض العلل ؛ ففى الحاوى ٦ : ٢٢ (أنا آمر بالفصد فى جميع العلل الامتلائية والصعبة ، وهى كالنقرس والرمد ووجع الكبد) .

(٤) إن النزعة التجريبية لدى الرازى، تشير إلى تفاؤله . وقد بدا تفاؤله واضحاً فى ميدان الطب . وإن كتابه الحاوى مع ضخامته ليزخر بهذه النزعة ؛ حيث يتجه كله إلى غاية واحدة ، هى الرأفة بالإنسان .

(٥) الصرع : اضطراب عصبى ، يظهر بشكل نوبات فقد وعى ، مع تشنجات .

تناول منه يصرع بعقبه، غير أنه كان ينفع العلة التي أصابته .

فجاءني وشكا إلي فاستوصفته الدواء ، فوصفه لي ، فكان فيه بذر // الكرفس[1] ؛ فألقيته منه . فاستعمله بعد ذلك ؛ فكان ص٧ لا يصرع ؛ وينفعه نفعاً بيناً .

ويحتاج في استعمال صناعة الطب إلى طول الملاقاة[2] ؛ فإن من صاحب إنساناً سنة، أعلم بطبيعته ممن صاحبه شهراً . ويجب[3] في ذلك أن يكون الطبيب قد أحكم الأصول ، وقرأ الفروع[4] ؛ فإنه من غير هذين لا يصح له شيء[5]، ولا يهتدي لأمر من الأمور في الصناعة ؛ فعليهما فاعتمد .

---

(١) الكرفس عشبة ساقها قصيرة، تؤكل عروقه، وتستعمل تابلا

(٢) هذا مبدأ عظيم في الطب . بعكس ما نراه اليوم من سرعة بعض الأطباء في الكشف على عدد كبير من المرضى .

(٣) يفهم من لفظة (يجب) هنا ، إيمان الرازي بالمسؤلية الفردية للطبيب . وهو أصل عام من أصول فلسفة - السيرة الفلسفية ١٠٢ .

(٤) فكرة الرازي هنا تبطل القول بأن العرب أو المسلمين ، لم يكونوا يعرفون المنهج العلمي السليم ، منهج القوانين ، كلية وجزئية. وقد صرح الرازي بها في كتابه : منافع الأغذية ٥٥ .

(٥) حق لبعضهم أن يقول : (إن الطب كان متفرقا فجمعه الرازي) .

النهى عن التجربة فى المريض:

ودع ما يهذى[1] به جهال العامة ، أن فلاناً قد وقعت له التجربة فى غير علم يرجع إليه ؛ فإن ذلك لا يكون ، ولو كان من أطول الناس عمرا ، وما نفع له من علاج موافق ، فهو من حسن الاتفاق[2] .

فأعلى درجات هؤلاء ، الذين ليسوا يرجعون إلى علم أصول الصناعة ، أنهم ينظرون فى الكتب ، فيستعملون منها العلاجات. وليسوا يعلمون أن الأشياء الموجودة فيها ، ليست هى أشياء تستعمل بأعيانها ، بل هى مقالات جعلت ؛ ليحتذى عليها ، وتعلم الصناعة منها .

ولو لم يكن من أمر التجربة إلا ما قاله الفاضل جالينوس (لكفى) : أنا أنهى جميع من استشارنى فى صناعة الطب ، أن يعالج بالتجربة.

---

(١) الهذيان : التكلم بغير معقول : لمرض أو غيره .

(٢) كانت محاربة الرازى للدجل فى الطب سبباً فى تمجيد الدارسين المنصفين له - ألدوميلى : العلم عند العرب ١٧٨ .

وقد[1] نهى عن ذلك المعلم الحكيم أبقراط ، حين ابتدأ فقال : العمر قصير ، والصناعة طويلة ، والزمان جديد ، والتجربة خطر[2] . فقد صدق لعمرى فى قوله ! . وإنى أنهى عن التجربة فى صناعة الطب[3] .

ورأيت ؛ رجلا من (المدعين[4]) ، يعالج عليلا أصابته صفراوية، فسقاه (شيئاً[5]) يعقل لسانه ، فعوتب فى ذلك ، (فذكر أنه قرأ ذلك فى كتاب يعالج هذا المرض)[6] .

---

(١) فى الأصل : « فقد »

(٢) إن الرازى من أنصار التجربة ، لكنه كان يرفض تجربة الدواء على الإنسان المريض ؛ فمن هنا يرضى بذلك لنفسه ! !

(٣) كان الرازى يجرب العقاقير على الحيوان ، قبل إعطائها للإنسان ، مثلما جرب فى قرد بعض مركبات الزئبق ، ومن جهة أخرى كان يبحث عن علاج الحيوان ، فلم تكن عنده قسوة ما ، انظر له : الحاوى ١ : ٩٢ ، الخواص - ورقة ١٣١ أ .

(٤) فى الأصل كلمة غير واضحة.

(٥) فى الأصل عبارة غير مقروءة .

(٦) فى الأصل عبارة : « فقال فى كتاب له ينفع من لبس الصفر»

وآخر يسقى عليلا، لورم صلب دموى كافوراً[1] ؛ فأضر به إضرار شديداً .

ودخلت[2] مرة قرية[3] مجتازاً بها ، فبقيت هنالك أياماً . فرأيت شيخاً ، كان بحضرة باب مسجده بالغداة قوارير الماء . فكان يأمر بأشياء كما يتفق له ، ويخطر بباله ، ويجرى على لسانه[4] .

فسألتهم عن حاله ، فقالوا : إن له كتباً كثيرة فى الطب ، وقد عرف طباعنا بالتجربة .

---

(١) الكافور : زيت طيار ، صلب فى درجات الحرارة العادية ، يحضر من شجر الكافور بالصين واليابان ، ويستخدم فى الطب وغيره .

(٢) ما أشبه الرازى بالجاحظ ، فى الأسلوب السلس الرقيق، وفى سوق بعض الحكايات التى وقعت له أو أمامه ، أو رواها واحد ممن يوثق به ، وذلك برهان على صحة ما يقول ، وكثير منها لا يخلو من دعابة وطرافة ، لكنها تتسم بالعمق والدقة العلمية — انظر بعض هذه الحكايات له فى : الطب الروحانى ٧٠ ، الخواص - ورقة ٧٠ .

(٣) فى الأصل « قريته »

(٤) من كتب الرازى المفقودة كتاب : « الأسباب المميلة لقلوب الناس عن أفاضل الأطباء إلى أخسائهم » - الفهرست ٤١٧ .

فقتل الشقي بعلاجه المنكر ، من مدة ما كنت هناك عدداً من الناس . فعجبت من غباوتهم وشقاوته ، ومن جهالتهم وجرأته. ولو خليت المرضى والطبيعة[1] ، ولم تعالج ألبتة ، خير لهم، وأعود عليهم ، من [أن] يستشفى بمثل ذلك الطبيب[2] .

ولو أن رجلا استوجب مدة عمره ، فإنه لا يصح له من التجربة ، أن الإسهال معالج بدلك الرأس بالخرق الخشنة. (ليستريح المريض) [3] ، وأن السعال ربما يؤدي إلى السل ، إذ لم يلطخ الرأس بدواء الخردل[4] ، حتى يتنقط وينفتح .

---

(١) يلاحظ أن فكر الرازي يحمل طابعاً إنسانياً عاماً ، ولعله السر في الاعتماد على كتبه مترجمة أو شهر مترجمة بأوروبا مدة طويلة.

(٢) هذا مبدأ ارتكاب أخف الضررين . وهو مقبول شرعا ، ويميل الرازي دائماً إلى الشفقة بالإنسان ، حيث يتأذى من وقوع الألم به ، إلا بقدر الإصلاح والعلاج - الطب الروحاني ٣٢ .

(٣) قد يبدو هذا الكلام غريبا من الرازي، لكن العلم اليوم يقول بأكثر من هذا فقد نشرت صحيفة الأخبار القاهرية يوم ١٩٧٥/٨/٨ أن أحد الأطباء الإنجليز اكتشف علاج الروماتيزم ، بضرب المريض بأكياس من الرمل بقوة في موطن المرض .

(٤) الخردل : نبات حولي من نباتات الدنيا القديمة .

التحذير من أدعياء الطب :

واعلم أن اللصوص وقطاع الطريق ، خير من أولئك النفر الذين يدعون الطب ، وليسوا بأطباء ، لأنهم يذهبون بالمال[1] ؛ وربما أتوا[2] على الأنفس ، وهؤلاء كثيراً ما يأتون على الأنفس النفيسة[3] . .

وإن من اضطر إلى ذلك ، لحاجة أو سد مجاعة ، خير ممن هو مستغن عنه ، يريد بذلك التشدق والسمعة ، كي يقال : إن فلاناً يرجع إليه فى علم الطب[4] .

وأكثر هؤلاء يرجعون إلى الزهد ، وصيانة النفس // . ص١٧٩

---

(١) هكذا يكره الرازى أن يكون الطبيب جشعا مستغلا ، وقد حارب هذه الظاهرة أيضاً فى كتابه بره الساعة ص ٨ .

(٢) فى الأصل « انعوا » .

(٣) يقول الرصافى عن الرازى فى مجلة المقتبس ص ٦٠٨ ج ١٠ المجلد الثالث نوفمبر ١٩٠٨ :

وكان حليف الجد لم يأل جهده   بدحض خصوم العلم من كل هزال

(٤) فى الأصل « إن فلانا يرجع إلى علم الطب » .

ولو أمسكوا عنه لكان جزاء لهم ديناً ودنيا، وآخرة وأولى[1]، فإن من أصعب الأمور التحكيم على الأرواح بغير معرفة ، والأمر بشيء ، والنهي عن غيره من غير بصيرة .

وإن الواحد منهم ربما بلغ به الأمر من الصيانة ، أنه يذبح نفسه من غير أن يتكلم[2] بين اثنين فى شيء حقير من حطام الدنيا، (كيلا يبوء من ذلك بإثم[3]) ، ثم يخبط منهمكاً على وجهه فى التحكم على أرواح الناس[4] ، من غير بحث ولا قياس، ولا أصل

---

(١) هذا مبدأ عظيم لكل إنسان ، وهو أن الإحجام عن الإضرار بالغير يعتبر عملا صالحا ، ينال صاحبه الثواب عليه .

(٢) فى الأصل « تكلم »

(٣) فى الأصل : « كيلا تحجمت فى ذلك بإثم أو يبوء منه لوزن » .

(٤) تلاحظ هنا أن الرازى يحترم الإنسان تماما ، ويخاف عليه من الموت قتلا ، وهذا أيضا لا يتناقض مع ما ذهب إليه من أنه لا يصح للإنسان الفاضل أن يخاف من الموت ولاسيما : « الإنسان الخير الفاضل المكمل لأداء ما فرضت عليه الشريعة المحقة ، لأنها قد وعدته الفوز والراحة والوصول إلى النعيم الدائم » ـ الطب الروحانى ٩٦ .

يبنى عليه ، ولا فرع يرجع إليه[1].

فبعضهم يفعله منتشيا ، وبعضهم يفعله محتسباً . وقد يصح لمن أحكم الأصول من علم الطب فى يوم واحد ، من حال من يريد علاجه ، إذا بحث عن ذلك ، مالا يصح لغيره فى سنن كثيرة ، من أصحاب التجارب .

وقد أخبرتك قبل ، أن الحكماء قد ينهون عن استعمال التجربة فى صناعة الطب . وقد أعلمتك قصة صاحب الخناق البلغمى ، والمتطبب الأجنبى ؛ لتعلم أن من يعتاد علاج إنسان ، ويعلم عاداته ، أو يلازم أميراً ، ويعرف سيرته ؛ قد يصح له من أحواله أشباه ما وصفت لك.

ولولا ما كان من أجل ما وصفنا ؛ ما استخلص الملوك والأمراء لأنفسهم الأطباء ، وآثروهم على جميع خدمهم ، وأشركوهم فى

---

(١) يطالب الرازى دائما بتطبيق المبادئ الأخلاقية السامية على الطب. ومن هنا اعتبر ممثلا للاتجاه المنهجى المقنن للدراسات الأخلاقية. ويمكن اعتباره مصلحاً اجتماعياً ، إلى جانب كونه عالما وفيلسوفاً .

أموالهم ونعمهم[1] وقدموهم على سائر خواصهم[2] ؛ لأنه لا شيء أجل من العافية ، ولا ألذ من حياة فى سلامة .

تواضع الطبيب :

واعلم أن التواضع فى هذه الصناعة زينة وجمال ، [دون ضعة النفس[3]] . لكن يتواضع بحسن اللفظ / / ، ص ١٨٠ [وجيد الكلام[4]] ولينه ، وترك الفظاظة والغلظة على الناس[5] .

---

(١) يرى الرازى أن البخل صفة ذميمة يدعو إليها الهوى . ولاسيما بالنسبة للقادر على الكرم . الطب الروحانى ٦٠ .

(٢) بالرغم من هذا لم ينتهز الرازى الفرصة للثراء ؛ لأنه كان زاهداً . « السيرة الفلسفية ١١٠ » . ويرى أنه لا يصح أن يكتسب الإنسان مالا كثيراً نظير العمل الذى يزيد عن طاقته ، وإلا يصبح عبداً للعمل . لكن عليه أن يوازن بين دخله ومنصرفه . « الطب الروحانى ٨٢ — ٨٤ » .

(٣) فى الأصل : « لكن لاضعه النفس ولا قلتها » .

(٤) فى الأصل : « وحسن إليه والرغبة فى الجنس وحفظ الكلام » .

(٥) وفى القرآن الكريم خطاب للرسول عليه السلام : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

فمتى كان كذلك ، فهو المسدد الموفق . وكذلك أمرنا بهذه الخصال المحمودة ، التى أشرت بها عليك ، الفاضل جالينوس .

وقد كنت يوماً فى مجلس بعض الملوك ، وكان له متطبب اختصه لنفسه ، وقدمه على سائر من بحضرته فأمرت له بدواء، وكان يحتاج إليه فى ذلك الوقت : وكان فى المجلس رجل من أقرباء الملك ، له مكانة ومنزلة عنده .

فقال له المتطبب : ائتنى بحقة كذا ؛ فقام من مجلسه كارهاً ، وهو يقول فى نفسه : أرى كل نذل[1] يحكم على ، حكمه على عبيده، فسمعه الملك ؛ فقال :

إن من جوزت له أن يحكم على نفسى وروحى ؛ لست أنهى[2] أن يحكم على غيرى ، ولو كان أقرب الناس إلى ، وأكرمهم على ، فاستبشر بذلك الرجل ، وطابت نفسه بقول الملك .

وعالجت فى بعض الأوقات ملكا ، وكان لى عنده مكانة ومنزلة؛ إذ[3] كان الرجل بنفسه فاضلا . فأصابه ورم حار ؛ ففصدته

(١) النذل : الخسيس المحتقر ؛ لسقوطه فى دين أو حسب .
(٢) فى الأصل : « أنها أى » .
(٣) فى الأصل : « إذا » .

واستكثرت من إخراج الدم ؛ إذ[1] كان يجب إخراجه إلى حالة العشا[2] ، فأصابته عشية صعبة ، فهولته جداً .

فجعل من حوله من خواصه وخدمه يبكونه . وأهابهم ذلك، وأنا أعالج العشا بما يجب ، لا أكترث بقوته وهوله .

فلما أفاق رأى بعض خدمه يبكى ، وبعضهم يشد النظر إلى، فقال لى : إنه لم يكن لى بره العشا ، ومادام معى شىء من عقلى يهتم، ولا فكر إلا الإشفاق عليك من أن ينالك // بعض خدمى ص١٨١ بجهالته بكلمة باردة . وقد وثقت منك أنك لو لم تعلم أنى محتاج أن أصير من إخراج الدم إلى العشا ، لم يخرج ذلك . ولست أكلمك بقصدى[3] بعد اليوم بحضرتهم ، بل فى الخلوة .

وتخلص بذلك الفصد من علل كثيرة ، قد أشرف عليها ، وحفظت صحته بإذن الله تعالى ، مدة مقامى معه ، من أوجاع شتى كانت تصيبه على الأيام ، لأنه لم يكن يأكل ويشرب[4] ، ولا ينام ولا يسهر ، ولا يتقاضى[5] ، ولا يستحم ، إلا

(١) : « إذا » .

(٢) فى الأصل «العشى» والعشا: سوء البصر بالليل والنهار، أو بالليل فقط.

(٣) فى الأصل : « قصدى » .

(٤) من كتب الرازى المفقودة « ترتيب أكل الفواكه » .

(٥) فى الأصل « لا بد قاضى » .

بمشورتى وإذنى ، وبمرأى منى .

وكان فى أثناء ذلك مطيعاً[1] لى مجيباً إلى العلاج ، فى جميع ما أشرت به من ذلك عليه . وكذا يجب أن يكون الرئيس إذا أراد الانتفاع بعلم الطب[2] .

وإن الطبيب بمثل هذا يسعد ، وهو [يسعد] باستخدامه إياه. ولو لم يكن لصناعة الطب وللأطباء ، من الفضل ، إلا ما أنا ذاكره ، لكانت فيه كفاية .

فضل الأطباء :

فإنه قد اجتمع لهم[3] خمس خصال لم تجتمع لغيرهم :

الأولى : اتفاق أهل الملل والأديان على تفضيل صناعتهم ؛

والثانية : اعتراف الملوك . والسوقة بشدة الحاجة إليهم ؛ إذ هم المفزع والغياث ، حين لا ينفع عدة ولا عشيرة .

---

(١) طاعة المريض للطبيب عنصر هام لتحصيل الشفاء سريعاً ؛ لاسيما إذا أضيف إليها علم متين للطبيب — وفيات ٤ : ٢٤٥ .

(٢) يستحسن الرازى أن يلزم المريض طبيباً واحداً ؛ لأن لكل طبيب خطأه - عيون الانباء ١ : ٤٢١

(٣) فى الأصل : « له »

والثالثة : مجاهدة [ما غاب [1] عن] أبصارهم [2] .

والرابعة اهتمامهم الدائم بإدخال السرور والراحة على غيرهم [3] .

والخامسة : الاسم المشتق من أسماء الله تعالى .

ولو لم يكن من فضل الطبيب ، إلا أن الإنسان ربما يتشوق إليه ، حين يسأم أكرم الناس عليه ، وأخصهم لديه // ؛ فإنه [4] ص٢ فى العلل الصعبة ربما كره الإنسان لقاء أهله وولده ، ويشتاق إلى الطبيب ، ويتروح برؤيته ، وتطيب نفسه بحضوره ومشاهدته - لكان فيه مندوحة عن غيره .

وحكى لى غير واحد من المرضى : أنه يجد فى نفسه راحة عند دخول الطبيب عليه ، وكونه عنده ، ما لا يجد فى غيره من الأوقات ،

---

(١) فى الأصل : (مجاهدة من أجاب عايته من أبصارهم) .

(٢) يوجب الرازى على كل طبيب أن ينقب على العلة مهما خفيت - الحاوى ١ : ١٢٨ .

(٣) أوجب الرازى على الطبيب أن يوهم مريضه بالصحة وإن لم يكن واثقا منها - عيون الأنباء ، ٤٢٠ :

(٤) فى الأصل : (فإن) .

لا كهانة فى الطب :

وإياك أن يغلطك المخرقون[1] المموهون على الناس ، بحضرة مخدومك ، فيكلفونك استخراج أشياء ليست من صناعة الطب ، مما يعتادها الكهنة[2] : أنه قد يمكن المشاهد أن يعرف جميع ما بالعليل من أمره ، إذا نظر إلى مائه ، أو جس نبضه ، لا بل يعرف ما أكل من قبل ذلك ، وراود من سائر أموره ، والفرق بين الأبوال ، وهذا من أعظم الكذب والباطل على صناعة الطب .

ولهؤلاء المخرقين - أخزاهم الله تعالى - فى ترويج حيلهم عند العامة ، أنواع من الحيل ، وزرق[3] لطيف جدا . وقد شرحنا هذه الأمور فى مقالتنا[4] التى ألفناها فى هذا المعنى .

---

(١) الحق أن كتابات الرازى قد عبرت عن أصالة فكرية حرة ، بخروجها على الشائع والمألوف .

(٢) فى الأصل : (الكدنة) .

(٣) أى حيلة وخفة .

(٤) يمتاز الرازى كفيلسوف بكثرة تآليفه فى موضوعات متنوعة .

فربما أمر المخرق مرافقه[1] أن يجعل بدل البول فى القارورة[2] ماء التين ، أو ماء نقع المشمش ، فيرده[3] إليه بحضرة من الناس فيغضب لذلك المخرق ، ويتناوله ويشربه .

وربما يدفع إليه ماء ...[4] فى قارورته بول الشاة بمرأى من العوام ؛ فيقول يحتاج إلى زيادة ...[5] ؛ فيصدق[6] ذلك كثير من أهل العقل والتمييز ؛ فضلا عن سواهم .

وإنما صرت بحيث لا يخفى على شيء من هذه الأمور ؛ لأنى كنت // فى حداثتى أتعاجل العزائم والمخاريق ، فصار ص ١٨٣ لا يخفى على أشر[7] وجوهها .

وقد رأيت من هؤلاء أشياء[8] ذكرت بعضها فى تلك المقالة ، التى بينت فيها طرفا من حيلهم .

---

(١) فى الأصل (مراطنه) .

(٢) وعاء يجعل فيه الشراب أو الرطب أو التمر .

(٣) فى الأصل : (فيرضه) .

(٤) فى الأصل : (تيموسة) .

(٥) « : (حشمش) .

[٦] « : (فصر) .

(٧) فى الأصل : (الشر) ؟

(٨) « « الاشياء .

أما أنا فقد دفعت إلى هذا النوع غير مرة ، من أقوام نظرت فى بولهم[1] ، أو جسست نبضهم[2] . فلما رأونى ألح عليهم فى المسألة عما فعل (المريض) وأكل وأصابه فى علته ، (وغير[3]) ذلك من الأعراض والدلائل والعلامات ، من النوم والسهر ، وكيفية الوجع ، رأيتهم قد تبين فى وجوههم ضد ما كانت صورتى[4] عندهم ، بأن لان قولهم لى ، وأعرضوا عنى .

ومنهم من أظهر ذلك لى ، غير مستح[5] منى بل مصرحا بالقول : من أنك كنت عندنا بخلاف ما نجدك ؛ إذ كان فى نفوسنا أنك إذا نظرت إلى ما بنا ، وجسست نبضنا ، أمكنك أن تخبرنا بجميع ما فعلنا فى أيام علتنا ، وما يجد من الآلام على كنهها .

---

(١) فى الأصل « دليلهم » ؛

(٢) كان من عادة الأطباء فى عصر الرازى تشخيص المرض بالفحص عن بول المريض ، دون أن يروه أحيانا . وقد لفت الرازى الأنظار إلى وجوب فحص المريض نفسه بالإضافة إلى ذلك - ديورانت : قصة الحضارة ص ١٩٢ جـ ٢ مجلد ٤ .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأصل « صررتى »

(٥) « « « مستحى »

ولم ينجع[1] كلامى فيهم . إن من وصفهم غير مدرك لهذه[2] الصناعة ، لما قد تمكن[3] فى نفوسهم من مخاريق[4] الهرابين وحيل الممخرقين[5] .

وإن كان قد يمكن الماهر ، أن يعتبر عن بعض ما بالعليل ، فإنه لا يمكنه الإخبار عما فعله البارحة ، وعما أكله على كنهه . فإن كانت صناعة الطب ، ماهى محصورة فى كتب الحكماء من اليونانيين والهند أيضاً ، فليس ولا فى واحد من هذه الكتب ، ما ادعوه من مثل هذه الأشياء[6] ، أنهم يلزمون الزوايا ؛

---

(١) أى لم ينفع .

(٢) فى الأصل « بهذه » .

(٣) فى الأصل (يمكن) .

(٤) فى الأصل (محاهبين) . ومن الطريف أن ينسب إلى الرازى كتاب يدعى : (مخاريق الانبياء) مع أنه برىء من ذلك .

(٥) فى الأصل (المهان) .

(٦) هنا تبدو ثقافة الرازى ، ويتضح مدى اطلاعه على معارف السابقين .

ويروجون صناعتهم وحيلهم ، على أهل ضعف // العقل[1] ص١٨٤ من الرجال والنساء . . .[2] وآراؤهم ، فى استخدام من يخدمهم متضاربة[3] .

فمنهم من يريد طول المقام عنده ، ومنهم من يكرهه[4] . فإذا خففت على هؤلاء فى الخدمة ، كان ذلك عندهم ضربا من الخدمة.

فإن أمرك إزاءهم بالتنبؤ[5] ، وأقبل عليك بوجه طلق ، خير من أن يثقل رأسه عليك ، أو يصد بوجهه عنك .

---

(١) الرازى ذو فراسة قوية فى فهم نفسية الأشخاص . . وهو يعرف جيداً كيف يعامل كل إنسان على حدة . وله رسالة فى الفراسة ، لا تختلف مبادئها مع مبادىء العلم الحديث ، فى هذا النوع من المعرفة ـ له : جمل أحكام الفراسة ـ ط حلب ١٩٢٩ .

(٢) فى الأصل جملة رسمها هكذا : وأحفظ عن وصيته أشدد ومخالفة .

(٣) فى الأصل : (منضرمة) .

(٤) « (يكرمه) .

(٥) « فانى أمرك أزاهم بالسوء . وعلى أى حال فالمعنى متعثر .

واعلم أنك إذا تملكت هذه الخصال ، ولازمتها فى سائر الأحوال ، كنت حرياً بأن يخصك الملوك والسوقة ، ويقبل عليك الخاصة والعامة . ولا تخلو فى خلال ذلك من ثواب وذخر ، وجزيل مثوبة ، وحسن ذكر [1].

وفيما أعلمتك من هذا الباب ، بهذا القدر [2] (ما) فيه كفاية [3]، وغنى لمن نظر فيه ، وتدبره بعقله [4] .

---

(١) من أصول فلسفة الرازى أن الله تعالى هو : (المالك لنا ، الذى منه نرجو الثواب ، ونخاف العقاب . ناظر لنا ، رحيم بنا لا يريد إيلامنا ، ويكره لنا الجور والجهل ، ويحب منا العلم والعدل) (السيرة الفلسفية ١٠١) .

(٢) يلاحظ هنا أن مؤلف الرازى هذا من الرسائل القصيرة . وهو يميل دائماً إلى الإيجاز ؛ لما فيه من بلاغة وتوفير جهد .

(٣) هذه الرسائل القصيرة التى ألفها الرازى ، كان يعتبرها بمثابة دستور فى الطب . وقد صرح بهذا فى حديثه عن كتابه (برء الساعة ص ٤) .

(٤) فى الأصل (بعقلى)

والله تعالى يوفقك[1] للسداد ، فتسلك كل طرق[2] الرشاد ، بمنه وجوده ولوادب العقل الحمد بلا نهاية ، كما هو أهله ومستحقه[3].

---

(1) فى الأصل (موفقك) .
(2) « (طريق) .
(3) « (أهلى ومستحق) .

قائمة المراجع

أولا — مصادر من تأليف أبي بكر محمد بن زكرياء الرازى :

١ - الأسرار - إيران ١٣٤٣ هـ

٢ - برء الساعة - القاهرة ١٩٣٦ .

٣ - جمل أحكام الفراسة - حلب ط ١ - ١٩٢٩ .

٤ - الحاوى - الهند - ط ١ - ١٩٥٥ .

٥ - الحصى فى الكلى والمثانة - نشر / كونينج - ١٨٩٦ ليد .

٦ - رسائل فلسفية - تحقيق ب كراوس مصر ١٩٣٩ وتشتمل على الرسائل الآتية :

ا - أمارات الإقبال والدولة .

ب - الحيرة الفلسفية .

جـ - الطب الروحانى .

د - مقالة فيما بعد الطبيعة .

هـ - المناظرات .

٧ - سر الأسرار . إيران ١٣٤٣ هـ .

٨ - الفاخر فى الطب ، نشر كونينج ، ١٨٩٦ ليدن .
٩ - المدخل الصغير إلى علم الطب ، مخطوط دار الكتب المصريه
ضمن مجموعة رقم ٨ ٤٣٠ ، ل ،
١٠ - منافع الأغذية ودفع مضارها ، مصر ١٣٠٥ هـ .

ثانياً : مراجع

١ - د . أحمد أمين : ظهر الإسلام : ط٣ ، ١٩٦٣ مصر .
٢ - أرسطو : المنطق (نظرية البرهان) تحقيق د . بدوى .
مطبعة دار الكتب المصرية ط ١٩٤٩ .

٣ - الدوميلى : العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى .
ترجمة د . عبد الحليم النجار ، د . محمد يوسف موسى .
دار القلم بمصر ، ط ١ ، ١٩٦٢
٤ - إميل لودفيج : الحياة والحب ، ترجمة عادل زعيتر ،
دار المعارف بمصر ١٩٥٠ .

٥ - برجسون : منبعا الأخلاق والدين . ترجمة د . سامى
الدروبى ، عبد الله عبد الدائم ، مكتبة نهضة مصر ، ط ١ ، ١٩٤٥

٦ - برناردشو : حيرة الطبيب ، ترجمة د . عمر مكاوى .
دار الفكر العربى ، ١٩٦٢ .

٧ - بولبي (جون) : رعاية الطفل وتطور الحب
ترجمة د . السيد خيري ، وزميليه . دار المعارف بمصر ١٩٥٩ .

٨ - جرينبادم : حضارة الإسلام - ترجمة عبد العزيز توفيق .
مكتبة مصر ١٩٥٦ .

٩ - د . حسني سبح : فلسفة الطب . دمشق - ط ٢ - ١٩٤٥

١٠ - حيدر بامات : مجالي الإسلام . ترجمة عادل زعيتر - الحلبي
بمصر ١٩٥٦ .

١١ - دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام - ترجمة د محمد أبو ريدة
مصر ١٩٣٨ .

١٢ - ديورانت : قصة الحضارة ترجمة محمد بدران . ط مصر .

١٣ - الشهرزوري : نزهة الأرواح . مخطوط دار الكتب
المصرية رقم ١٢٠٥٠ : ح .

١٤ - عبد الرازق نوفل : المسلمون والعلم الحديث مكتبة
طايع بمصر ط ٢ .

١٥ - د عبد اللطيف محمد العبد : فلسفة أبي بكر محمد بن زكرياء
الرازي (رسالة دكتوراه بمرتبة الشرف الأولى - ١٩٧٥ كلية دار العلوم
تحت الطبع) .

١٩ - على بن العباس المجوس : كامل الصناعة الطبية ، المطبعة الكبرى بمصر ١٢٩٤ هـ .

١٧ - مسالك الأبصار مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة ،

١٨ - الغزالى : إحياء علوم الدين الحلبى بمصر ١٩٣٩ ،

١٩ - القشيرى : الرسالة القشيرية صبيح بمصر ١٩٦٦ ،

٢٠ - القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء،الخانجى بمصر ط ١ ١٣٢٦ هـ ،

٢١ د محمد زكى سويدان : التمريض والإسعاف مصر ط٢٠ ١٩٥٧

٢٢ - د محمد كمال جعفر : التصوف طريقا وتجربة ومذهبا . دار الكتب الجامعية بالإسكندرية ١٩٧٠

٢٣ - مصطفى لبيب : الكيمياء عند العرب دار الكاتب العربى بمصر ١٩٦٧

٢٤ - د هاشم الوترى ، ود . معمر خالد : تاريخ الطب فى العراق بغداد ١٩٣٩ ،

٢٥ - واتشلى (دانا) : الطبيب معالجاً وعالماً ، ترجمة : زكريا فهمى : دار الفكر العربى بمصر ،

٢٦ - يحيى الشريف (وزميلاه) الطب الشرعى ، مكتبة القاهرة الحديثة ط ١ ١٩٥٨ ،

٢٧ - يحيى بن هبيرة اختلاف الأئمة ، مخطوط دار الكتب المصرية ٢٣٣١٩ ب ،

ثالثاً : موسوعات

١ - ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء تحقيق د. نزار رضا: بيروت دار مكتبة الحياة ١٩٦٥

٢ - ابن خلكان : وفيات الأعيان . تحقيق محمد محيى الدين : النهضة المصرية ١٩٤٩

٣ - ابن النديم : الفهرست المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٤٨ هـ

٤ - البغدادي (إسماعيل) : هدية العارفين. استانبول ١٩٥٥ ،

٥ - التهانوي : كشاف إصطلاحات الفنون تحقيق د لطفي عبد البديع النهضة المصرية ١٩٦٣ ،

٦ - الأب لويس معلوف اليسوعي : المنجد في اللغة والأدب والعلوم بيروت : ط ٥ ١٩٢٧ ،

٧ - د محمد زكي شافعي : دائرة معارف الطب والعلاج المنزلي ط ٢ دار الفكر العربي بمصر .

٨ - محمد شفيق غربال (بإشرافه) : الموسوعة العربية الميسرة دار القلم بمصر .

رابعاً : دوريات

١ - مجلة/المباحث : العدد ٨ السنة الأولى ١٩٠٩ .

٢ - مجلة/المقتبس : جـ ١٠ المجلد الثالث . نوفمبر ١٩٠٨ ،

٣ - مجلة / المقتطف : جـ ٥ مجلد ٧٥ ديسمبر ١٩٢٩ ،

خامساً — مراجع إنجليزية

1 – Melanie Klein : The Psycho-Analysis of children. London, 1954.

2 – Sarvepalli ; History of philosophy Eastern and Western V 11 London, 1953.

فهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع لسنة ١٩٧٧
مطبعة دار البيان

